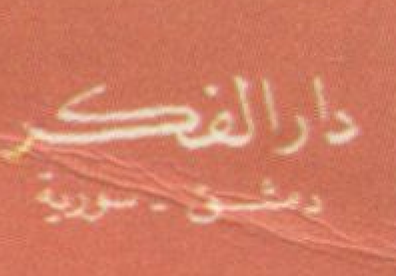
عدنان السبيعي

الصحة النفسية
للأسرة والمجتمع
٢

الصحّة النفسيّة للمولود والرضيع

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان





بسم الله الرحمن الرحيم

الصحة النفسية للمولود والرضيع

الصحة النفسية للمولود والرضيع/ عدنان السبيعي . - دمشق : دار الفكر، ١٩٩٧ .- ١٤٢ .- ١٤٢ ص؛ ٢٠سم .

١- ٤, ١٥٥ س ب ي ص ٢- ٦٤٩ س ب ي ص

٣-العنوان ٤- السبيعي

مكتبة الأسد

ع: ١٩٩٧/٨/١١٤٧



الصحة النفسية للمولود والرضيع

عدنان السبيعي

الرقم الاصطلاحي: ١١٢٤,٠١٣
الرقم الموضوعي: ٦١٠
الرقم الدولي: ISBN: 1-57547-386-0
الموضوع: الطب
العنوان: الصحة النفسية للمولود والرضيع
التأليف: عدنان السبيعي
الصف التصويري: دار الفكر - دمشق
التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق
عدد الصفحات: ١٤٤ ص
قياس الصفحة: ١٧X١٢ سم
عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من

دار الفكر بدمشق
برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية
برقياً: فكر
فاكس ٢٢٣٩٧١٦
هاتف ٢٢٣٩٧١٧، ٢٢١١١٦٦
http://www.fikr.com/
E-mail: info @fikr.com



إعـــادة
١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م

ط١/١٤١٧هـ = ١٩٩٧م

﴿ وَوَصَّينا الإنسانَ بوالديهِ إحساناً
حملته أُمُّه كُرْهاً وَوَضعتْهُ كُرْهاً
وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ ثلاثونَ شهراً ﴾

[الأحقاف ٤٦/١٥].

المحتوى

الموضوع	الصفحة

الفصل الأول

بعد تسعة شهور
الجائزة



وُلد إنسان جديد

إنها شهور تسع ... تسعة شهور تزيد أياماً أو تنقص .. تصوغ عالماً جديداً .. عالماً حافلاً ، يحتشد فيه الألم ممتزجاً بالأمل ، ويأتلف القلق فيه مع الفرح ، خلال أيام وليالٍ عديدة ، تطول وتطول ، ويثقُل الحمل ويثقُل ، ويصبح ﴿ وَهناً عَلَى وَهنٍ ﴾ [لقمان : ١٤/٣١] . وتتألم الحامل وتتألم ... فلماذا ؟.. يقولون إن ألمها ليس مرضاً ، ولكنْ ما شأنه يتنوع ويزداد ؟... كل يومٍ هو في شأن .

يقول العلماء الباحثون :

ثمة أمور كثيرة تطرأ على جسم الأم الحامل :

أولها : الهرمونات تغزو دمها ، وتتحكم بإحساساتها ، وتغير توازنها .

ثانيها : الجنين نفسه في بطنها ينمو ويكبر ، ويتغذى ويطرح ، يتحرك تارة ويسكن أخرى .

وبتأثير هذه العوامل تتقلب الأم بين القلق والفرح .

القلق على نجاح المهمة ، (وهي مهمة صعبة وغريبة ومبهمة) .. والفرح بنجاح الولادة (وهي بدورها صعبة وغريبة ومبهمة أيضاً) . ويكبر الجنين ويكبر ، وحين تدنو ساعة الصفر يسعى ليغادر الظلمات الثلاث ؛ ظلمة المشيمة ، وظلمة الرحم ، وظلمة البطن ﴿ يَخلُقُكُم في بُطُونِ أُمهَاتِكُمْ خَلْقاً مِن بَعْدِ خَلْقٍ في ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ﴾ [الزمر : ٦/٣٩] .

المخاض : وتبدأ الطلقات تأتي خفيفة أول الأمر ، ثم تشتد وتتعاظم ، وتقوى وتتلاحق ، يقول العلماء : « إن جسم المرأة قد أعده الخالق الجليل ليكون مرناً غاية المرونة ، لطيفاً كل اللطف ، كي يتحمل الألم دون أن يتمزق » .

سبحانك يا الله ... عونك يا رب .

ويقول العلماء : « يُستحسن بل يجب أن يكون إلى جانب الأم أثناء المخاض مَن ترتاح إليه وتسرها مشاهدته[1] (مثل أمها

(١) راجع كتاب التهيؤ للوالديّة ، ترجمة الدكتور فاخر عاقل ص ٣٥ وما بعدها .

أو أختٍ محبوبة من أخواتها) فإن ذلك مما يساعدها على أن تكون ساعة الوضع منشرحةً بعيدة عن التوتر ، فيجري كل شيء على أفضل شكل وأتم صورة » .

ويقول العلماء : « إن وجود ذلك القريب المؤنس ، يقلل من إفراز المواد الضارة التي يفرزها الأدرينالين ، فإذا تضاءل وجود الأدرينالين أو انعدم ، فإن عضلات بطن الأم وأوعيتها الدموية وأحشاءها ، تظل مسترخية وفعالة في آن واحد أثناء المخاض ، فتتضاءل احتمالات نقص الأوكسجين ، ذلك النقص الذي قد يؤدي إلى وفاة المولود ، أو حدوث نتائج خطيرة على حياته ؛ بدءاً من التخلف العقلي ، وانتهاءً بالانحراف العصبي والاضطراب المزاجي والنفسي »[(١)] .

في تلك اللحظة ؛ من التاريخ المجيد للأم ... تدنو فيها من الموت ، وتستلقي على حافة الحياة ، تعلو صرخاتها ؛ صرخات الألم تطلب النجدة ... ويبتهل الجميع من حولها إلى العلي القدير

(١) راجع كتاب سيكولوجية الأمومة ومسؤولية الحمل للمؤلف الجزء الأول بحث المولود .

أن يعين وييسّر المخاض ، وتظل الصرخات تعلو وتعلو .... وتشتد ... وتشتد ... حتى يتم الخلاص بظهور الْخَلاص[١] ....

إنها الجائزة الكبرى ....

ها هو الصراخ يتجدد . لكنه بصوت آخر الآن ، صوت ناعم هو صوت الوليد هذه المرة .. إنه بكاء وليس مجرد صوت أو صياح .

لقد وُلد إنسان جديد على الأرض وكانت الجائزة .

وتجري عمليات متلاحقة : يُقص فيها الحبل السري ، ويفصل الوليد عن المشيمة ، ويُغسل الوليد بأيدٍ بارعة تتلقفه بماء دافئ . ويلف الجسم المهلهل الضعيف بثيابٍ تبرز إنسانيته ، وتدخله عالم الحضارة ، ويُسجى في السرير الصغير مرتّباً مؤنقاً ومعطراً ، كما تكون الهدية ؛ أجمل هدية .

ويأتي الزوج المولّه يهشّ ويبشّ ويقول بصوت تخنقه العبرات : « الحمد لله الحمد لله ... اللهم لك الحمد ... والشكر لك يا رب » .

---

(١) وهو المشيمة كما تُسمى في بلاد الشام .

ويتقدم .. لا يدري ما يفعل هل يهنئ زوجه أولاً ، أم يحمل وليده ؟!

ويحمل الأب الهدية يرفعها بين يديه .. وهو لا يدري من أين يقبّله ، أو ماذا يفعل !! ثم يهمس في أذنيه كلمات ... الأذان : الله أكبر .. الله أكبر ... أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله .. إنها أولى كلمات السماء يسمعها الوليد على الأرض .

في تلك اللحظات المجيدة يُسدل الستار على كل الآلام ... آلام الليالي وتأوهات اليقظة والأرق والنوم .... تتوارى مع كل المخاوف وصور الهم والغم .

أما هو : هذا المخلوق الجديد ، فإنه ... يأتي جائعاً متعباً صاخباً . لا يعلم من أين يبدأ ؟!... وماذا يفعل ؟! هل يلتمس الثدي ؟! أم يستمر في بكاء متواصل يملأ البيت ؟! أم يغفو بعد نضال شديد أتعسه وأنهكه ...

يقول العلماء : إن مجرد وصول حلمة الثدي إلى شفتي

الوليد ، وشروعه بالامتصاص[١] لأول مرة ، يُظهر أموراً وصفها الباحثون بأنها كالسحر أو هي السحر المعجز بالذات . يا سبحان الله !

إنها (الصمغة) التي تفعل الأعاجيب : تعقم فم المولود وجهازه الهضمي وتكون مصاً أول الأمر ثم تتحول إلى الرضاع .

ويدر اللبن ويتوافد إلى الثديين اللذين يستعدان لتقديم الغذاء ... إنه لبن ولكنه ليس كاللبن !

يسود الاسترخاء بدن الأم فيصل إلى الرحم المتوترة .

وتنعدم بالتدرّج وبشكل عجيب في معظم الحالات آلام البطن عند الأم بسبب تراجع الرحم إلى موضعه .

أما الأم فقد عادت أدراجَها من شواطئ الموت ، لكنها تظل مشدوهة مولّهة لا يفارقها التعب . وتذكر منظر المولود

---

(١) يمتلك الوليد حاجة قوية إلى إشباع رغبته بالمص . إنه مزود فطرياً بهذه الغريزة (وسنعمد إلى التوسع في هذا الموضوع عند معالجة الرضاع بمشيئة الله) .

فتقول في سرّها :

« لله ما أبدعه وما أروعه ، ما أصغره وما أكبره ، إنسان مثل جميع البشر .. أجل ولكن ... ولكن .. ولكن انظروا ملياً ألا ترون أنه أجمل ما في العالم ؟؟.. اجتمعت فيه البساطة والعظمة .

لقد عجنتُ الخميرة في أحشائي ، وروّيتها بدمي ، ومزجتُها بدموعي آناء الليل والناس نيام ، وأطرافَ النهار وكلّهم مشغول ، أما أنا فكنتُ أحس بك أيها الحبيب وأكاد أراك بعيني آنذاك .

وظللت أراقبك لحظةً بعد لحظة ؛ راقبتُ تحركاتك إذ تتحرك ، فكانت حركاتك برداً وسلاماً على قلبي ، ولكم أصابني الذعر إذا سكنْتَ وهدأت في بطني ، هل كنتَ مشغولاً عني أم أصابك مكروه ؟!

أنا التي عملْتُ كي تكبر وتنمو بكلمة الله المودعة في نفسي ، لتكون إنساناً لا كالبشر ، تملأ القلب والعين والحياة ...

أيها الناس انظروا ... انظروا إليه ... انظروا إلي ، إنني أم ، أحمل العالم بين يدي ، أحمل جملة العالم ، مِلك العالم ، إنه ملك وسيظل ملكاً ، أنا من قلّدتُه صولجانه وصُغت تاجه من لؤلؤ دمعي ، ولكنني آمل بحق أن يظل طوع بناني ، فأنا علمتُه كيف يحكُم ويحلُم ، وأنا أول من أطيعه وأخشاه ، أنا أمَته وخادمته ، احنوا رؤوسكم أمامه ، وانظروا إليه بعيني » .

يقول علماء النفس المحدثون : « في تلك اللحظات الغالية يتكون الرباط الثاني على هذه الأرض بعد الرباط الأول الذي كان في بطن الأم »[1] .

الرباط الثاني :

بعد أن يولد المولود تتجمع عناصر عديدة تدعم الروابط بين المولود ووالدته .

- هناك الرباط الأول بكل وعوده وأمانيه .
- وهنا تحقّق الأمل وسلامة الوصول .

(١) تحدثنا عنه في الحلقة السابقة : (الصحة النفسية للجنين) .

● يُضاف إلى هذا وذاك ؛ ضعف المولود ، وحاجته إلى العون . أليس بحاجة إلى العون ؟...

● يقولون إنه لا يرى ، ولكن ما باله يُنعم النظر إلي ؟.. وإذا كان لا يرى ، فلماذا يثبت عينيه على وجهي ؟؟..

● أما تعلقه بصوت أبيه فلا يماثله إلا تعلقي أنا به ..

وتحيا الأم عواطفها الجياشة مع الوليد ، تتبدل صور حياتها وحركاتها ، وتغذيتها ، وتعاملها مع الآخرين ، وتبدأ تسهر الليالي الطويلة من جديد ، من أجله ولإرضاعه ونومه ويقظته ، كل هذا يصنع الزخم العاطفي الذي اكتشفه العلماء وأطلقوا عليه اسم الرباط الثاني .

وبصدد هذا الرباط الثاني : تتكون أقوى صلة موضوعية وذاتية في آن واحد ، أقوى صلة تربط بين إنسانين على الأرض تقول الحكمة القديمة :

« مهما كنت غنياً وقادراً على أن تدفع ، فإنه يستحيل عليك أن تشتري .. ولو بملء الأرض ذهباً ، علاقة بل رابطة

أقوى وأبدع بين إنسانين ـ تماثل ما تقدمه الأم لصغيرها مجاناً ، بغير ثمن وبلا مقابل ... » .

وفي لحظة الولادة خبران طريفان استقيناهما على الشكل الآتي :

١ ـ خبر ورد في تراثنا الكريم .

٢ ـ خبر طالعناه في وقائع رصدها العلم الحديث .

١ ـ يروي إياس بن معاوية الخبر الآتي : « أذكر يوم ولدتني أمي أني خرجت من ظلمة إلى ضوء ، ثم صرت إلى ظلمة » ، فسئلت أمه عن ذلك فقالت : صدق . لما انفصل عني ، لم يكن عندي ما ألفه به فوضعت عليه قصعة[١] .

٢ ـ يذكر طبيب الأمراض النفسية التشيكي (ستانسلاس غروف)[٢] حالة أحد مرضاه الخاضعين للمعالجة الطبية بطريق التنويم ما يلي : « فيما كان المريض يتناول العقاقير ، أخذ يصف بدقة رائعة جسمه يوم كان ما يزال جنيناً : حجم رأسه بالمقارنة

---

(١) يراجع كتاب (تحفة المودود في أحكام المولود) ص ٢٠٤ .

(٢) راجع كتاب (الأطفال مراة المجتمع) ص ١٦ وما بعدها .

مع ساقيه وذراعيه ، ويصف الإحساس الذي يشعر به حينما كان يغرق في دفء السائل الآمينوسي ، وكيف كان على صلة بغشاء أمه . وفجأة وبينما كان يصف أصوات قلبه وقلب أمه توقف عن الوصف ، وأعلن أنه يسمع أصواتاً مخنوقة صادرة من خارج الرحم ، وقهقهات وصيحات فرح ، ويسمع أيضاً ضوضاء خافتة تحدثها أبواق الكرنفال . ثم أكد بشكل مفاجئ (ومن المتعذر تفسير ذلك) أنه كان على وشك أن يولد .

إن دقة تفاصيل هذه الذكرى قد أثارت اهتمام الطبيب (غروف) فطرح على والدة المريض أسئلة تتعلق بولادة ابنها ، فلم تؤكد الأم فقط صحة ما وصفه ولدها ، بل أضافت أيضاً أن هياج الناس في الكرنفال ، هو الذي حرّض الولادة قبل موعدها ، لكن أسئلة الطبيب قد أدهشتها ، فهي في الواقع لم تتحدث مع أحد عما كان قد جرى لها ، لأن والدتها حذرتها من ولادة سابقة لأوانها ، فمن الذي أخبر الطبيب بذلك ؟...لا بدّ أن هذا الطبيب قد استمع جيداً إلى أقوال المريض (عن ولادته) وقد ذكرها أثناء تنويمه .

إنه يكبر وينمو

ويكبر الوليد وينمو سريعاً ، فتنمو أفراحه وبمقدار ما يكون مجيئه مشفوعاً بالفرح ، تنمو مواهبه وقدراته كما تنمو الأشجار والأزهار تحت الشمس ، وتكبر ثقته بمحبة أمه وذويه وتقبُّلهم إياه ، ثم تتعاظم هذه الثقة لتصبح ثقة بالحياة والناس ، فتبدو له الحياة ممتعة زاهرة ، ويبدو له السعي فيها جميلاً والعمل مثمراً بهيجاً ، فيصلب عوده مع الأيام ، وتقوى ذاته فيتولع بالدأب والمثابرة ومتابعة اللعب والنضال ، وتغدو مواقفه متوثبة ، واتجاهاته ناشطة ...

يشبّه بعضهم هذه المواقف والاتجاهات بمواقف الرياضيين وهواة المسابقات ، وكما يستعذب الرياضيون كل مشقة ويبذلون جهودهم ، فيثابرون على التدريب ساعين دوماً وراء نصر جديد وظفرٍ شديد .. فإن الوليد الواثق من محبة الحياة والأهل ، ينهج مثل نهجهم ويتابع حياته في طريق صاعد مستمر وبلا جمود .

إن هذا هو الدرس العظيم للرباطين الأول والثـاني بين الأم ومولودها . إنه تدريب على البطولة والتجاوز .

وإذا كان الربـاط الأول يصنع الاستقرار في بطن الأم في توازن ثابت .

فإن الرباط الثـاني يصنع الثقـة المتوثبـة على سطح الأرض في توازن متحرك ديناميكي .

ويتفـاعل نـوعـا التـوازن مع بعضها فتتكـون مـع الأيـام شخصيـة الطفل . وذاتيتـه الواثقـة الموثوقـة . ولا تتكـون هـذه الشخصيـة كيفما اتفـق وبـأيّ شروط . بـل لا بـد أن تتهيأ لهـا ضوابط عديدة كشف عنها العلم وأهم هذه الضوابط :

١ ـ أن تكـون الأم قـد تقبلت الحمـل ومضت تنميـه دون تردد برغبة صادقة .

٢ ـ أن تكـون الأم ذاتهـا ممّن أنعم الله عليهـا بـالتـوازن والثقة .

اكتئاب الأمهات

تتحدث أمهاتٌ كثيرات عن كآبة مفاجئة ، ابتلين بها واستولت عليهن بعد الولادة . وذهب الباحثون في هذا الأمر مذاهب مختلفة ؛ فقالوا :

١ ـ إنه التفريغ السريع للتوتر الذي كان يحيط بالأم قبل الولادة ، ثم شعرت بالفراغ بعد ذلك .

٢ ـ لعله احتمال أن يكون المولود من الجنس غير المطلوب ، فلربما كانت الأم تريد الذكر فأتى المولود أنثى أو العكس ، ولربما كان المولود مسبوقاً بإخوة له من جنسه (عدة بنات وُلدن والمطلوب مجيء الذكر) .

٣ ـ ولربما كانت الكآبة راجعة إلى الشعور بضآلة المحصول بعد التحمل الطويل ، ولا تُحس بهذا الشعور إلا ضعيفات الإيمان بالله ومشيئته .

ذكر المؤلف (د . لي سالك) في كتابه : التأهب للوالدية : صفحة ١٤٦ ، أن امرأةً سعيدةً في حياتها شكت بعد

ولادة طفلها الثاني ، من غضب كاسح اعتراها تجاه زوجها ، حتى إنها صاحت في وجهه في نوبة غضب : (ابتعد عني ، ولا تلمسني ، لا أريد أن أراك طيلة حياتي) .

وذكر أخرى اشتد معها الاكتئاب فعضت يد الطبيب ثم راحت تجهش بالبكاء !

٤ ـ وقد يكون شكل المولود مما لا يوحي بمزيد من الإعجاب ، ذلك أن بعض المواليد يولدون بصورة جذابة جميلة ـ مثل القمر كما يقولون ـ وبعضهم الآخر يولدون بسحنة قد توصف بأنها أقرب إلى القبح ، وكثيراً ما يكتسب هؤلاء وضوح الشكل ومحاسنه بعد فترة من الولادة تطول أو تقصر . وقد تقول أم : « أنا لا أكاد أطيقه ... إنه ليس ما كنتُ أشتهيه » . ويذكر المؤلف السابق أن بعض الأمهات قد فكّرن في الهرب من مشفى الولادة وترك المولود[٢] ، كيلا يدري أحد أين هي .

---

(١) راجع (التهيؤ للوالدية) د . لي سالك ، ترجمة د . فاخر عاقل (ص ١٤٧) .

(٢) المرجع نفسه (ص ١٥٠) .

٥ ـ يميل الدكتور (لي سالك) إلى تعليل الاكتئاب بالتغيرات الهرمونية التي تعاني منها الأم أثناء الحمل وبعد الولادة[١].

٦ ـ ويضيف إلى ما سبق تولد الإحساس بالذنب عند اللواتي كان حملهن بصورة غير شرعية ، وأمثال هؤلاء الأمهات تشعر بالنتائج السيئة التي آلت إليها نزواتها . فبعضهنّ يشعرن بالحاجة إلى إيذاء المولود أو إلقائه من النافذة ، أو إعطاء أولادهن إلى أناس يتعهدون بتربيتهم ، والغريب أن هؤلاء الأمهات يعاودهن الشوق إلى مَن تخلين عنه ... وقد يُصيبهن الانهيار العصبي أو الجنون إن لم يتحقق مطلبهن .

وخلافاً لهؤلاء الأمهات نلقى الأمهات الطبيعيات المؤمنات يشعرن بالافتخار بالحمل الذي تمّ ، ثم بالولادة السليمة التي تمت بنعمةٍ من الله وفضل، وتراهن أمهات جديرات بتقديم الشكر إلى الله الواحد الأحد الذي أسبغ عليهن نعمته فوق ما يحلُمن به ... وهذا من بعض ما يصنعه الإيمان والرضى بالحياة الزوجية السليمة .

---

(١) المرجع نفسه (ص ١٤٨) .

الفصل الثاني

الصحة النفسية الاتصالية
بين المولود وأمه

الصحة النفسية الاتصالية

بين المولود وأمه

يعيش المولود أيامه الأولى ، بعد الولادة وحتى نهاية السنة الأولى ، في حالة نفسية مميزة أطلق عليها علماء النفس عبارة (Autis me) ، وهذه العبارة تحمل معنى (التقوقع الذاتي) ، ويشاهد هذا التقوقع على الذات عند المصابين بالمرض المسمى بالانفصام (شيزوفرينيا) ، ووجه الشبه بين نفسية المولود والفصاميين ، هو الانقطاع عن العالم الخارجي والتمركز صوب العالم الداخلي ، مع فارق هو أن العالم الداخلي للمولود لا يشكل فراغاً كما يُظن ، بل هو كيان حافل مليء بالفعاليات النفسية النشيطة والإمكانات الغنية التي تهيأت له في بطن أمه ، وكل لحظة تمر على المولود تؤدي به إلى تفتح الإمكانات ، فتنتعش وتنشط ، كما تتفتح بذور النبات بفضل الماء يصل إليها مع التراب فيستيقظ الرشيم المليء بالإمكانات الحيوية .

والمهم أن المولود ينهج منهجاً مماثلاً لمنهج البذور ، فيتفتح على العالم الخارجي .

وهناك بوابتان تساعدانه على التوجه نحو العالم الخارجي ؛ (أمه) و (فمه) .

فالأم التي كانت قد حملت بالمولود ووضعته ، تتابع عنايتها (التي أوكلها الخالق إليها) فتطلعه على العالم وتقدمه له .

والفم بوصفه العضو الأول يوصل الغذاء ووسائل الحياة إلى المولود . والغريزة هنا تلعب دورها الكبير بفعل الامتصاص . والجدير بالملاحظة أن فم الطفل **لا يعمل من أجل غذائه** فحسب ، **بل من أجل التعرف على الأشياء** ، فهو باب المعرفة .

ومنذ أن يقدر الطفل على المسك بيده يدفع بكل الأشياء التي وصلته إلى فمه ؛ (الخشخيشة) التي كانت تسليه بأصواتها وهي في أيدي الآخرين ، إذا وصلت إلى يده تحولت إلى فمه وكأنها شيء يؤكل . وكذلك طرف الثوب أو الدثار ، أو أي شيء

آخر يصل إلى يد المولود يُدفع آلياً نحو الفم ، وإذا أنت وضعت إصبعك في كفه فكثيراً ما يشد إصبعك ليجعلها في فمه[١] !!.

عناية بالأم متواصلة

حين تنتقل الأم من مشفى الولادة تظهر أمامها ظواهر ، أو لنقل صعوبات ، لا توجد في بلادنا إلا بقدر ضئيل جداً ، وذلك أنّ الأم عندنا لا تُترك وحيدة تعاني المتاعب والمشاق وحدها ـ حتى لو كانت تضع مولودها السادس أو التاسع ـ فإن هناك دوماً أناساً كثيرين ، كأمها وأخواتها ، اللواتي يتناوبن على مساعدتها ، بكل إقبال ، وحتى جيرانها ـ إن لم يكن للأم أقرباء ـ وهؤلاء كلهن يقدمن العناية لا للمولود فقط ، بل للوالدة نفسها ، وكثيراً ما يقدمن للطرفين العناية اللازمة

(١) فلنذكر هنا قصة النبي موسى عليه السلام ، حين صار في حجر فرعون ، وأراد هذا الأخير اختبار الطفل موسى ، فوضع قريباً منه تمرة وجمرة تتقد ، ولو أنه آثر التمرة لكان نصيبه القتل كما كانت تقتل ذكور بني إسرائيل ، لكنه اختار الجمرة المتقدة التي أحرقت يده فدفع بالجمرة إلى فمه وأظهر بذلك براءته ، ونجا من القتل .

والغذاء والنظافة والتدفئة ... إلخ . وهكذا تتضاءل الصعوبات في بلادنا أو تنعدم ، بفضل التقاليد العربية والإسلامية التي تتعلق بالأسرة ، فتجعل كل إنسان محوطاً بكل إنسان آخر[١] .

وفي مقابل هذه التقاليد العظيمة تنشأ في وجه الأم التي وضعت مولودها في ديار الغرب صعوبات جمة نلخص أهمها فيما يأتي :

١ ـ تدرك الأم (ـ التي ولدت حديثاً ..) أن وقتها لم يعد لها . وإنما قد أصبح بيد المولود ، وهكذا يستهلك المولود الكثير من الوقت ويقتضي الكثير من العناية والحرج .

٢ ـ وهكذا تنعدم إمكانات الراحة عند الوالدة بمقدار ما يمتلئ وقتها بالمتاعب . (صرّحت إحدى الأمهات بعد ولادتها فقالت : ما كنتُ أظن أن الولادة تؤدي إلى متاعب كهذه ، ولو كنت أعلمها لما حملتُ ولما ولدت) . فهذه الأم لو أنها أعانت غيرها قبل أن تتزوج وساعدته لشعرت بأهمية الموضوع وتدربت

---

(١) على أن مخاوفنا تدور حول غياب هذه التقاليد لا سمح الله .

عليه ، ولكنها التقاليد الغربية الفردية ، وانقطاع ما أمر الله به أن يوصل بين الناس والأهل والجوار .

إنه يستغرق حياة أمه

وهكذا يتطلب المولود نظافة مستمرة لا بد منها ، وتغذية متواصلة لا يستغنى عنها ، وتنظيماً لأوقات نومه ، وتحمّل بكائه في الليل والنهار ، والتماس ما يجعله يستقر ويهدأ ، وكل هذا يؤدي إلى تغيُّر سلوك الأم .

٣ ـ فتتقلص زيارات الأم وأوقات راحتها وتسليتها .

٤ ـ ويُضاف إلى ما سبق أن ثمة ضرورات أخرى ، تدور حول احتياجات المنزل ومقتضيات الغذاء والنظافة المنزلية .

وهكذا تنشأ إغراءات عند الأم الأنانية ، تجعلها تخفف من عنايتها بالمولود ، وتحوّل العناية به إلى الخدم والمساعدات ، أو ترسله إلى بيوت الرضاع ، حيث تتم العناية بطريقة (التعامل بالجملة)(١) وينصح العلماء المخلصون الأمهات الحديثات بوجه

(١) وسنعنى بشرح مساوئ (التربية بالجملة) فيا بعد بإذن الله .

خاص ألاّ يستجبن لهذه الإغراءات ، لأن التذمر والانفعال عند الأبوين يؤدي إلى دفع الأولاد صوب الانفعال النفسي والضيق بالحياة ، وهكذا ينصح المربي الدكتور (لي سالك) المشرف على علم نفس الطفل في مشفى كورنوول الطبي[1] أمثال هؤلاء الأمهات بقوله : أمامك أيتها الأم نوعان من السلوك :

أولها : أن تتمني لو أنكِ لم تحملي ولم تلدي . (وهذه الأمنية ساذجة ولا جدوى منها) وأرجو إلغاءها .

وثانيهما : أن تتابعي عملك فتظلين مع الطفل لتقدمي له الخدمات الضرورية لحمايته وسعادته . [ونضيف نحن : إن الإخلاص في هذا العمل مأجور عند الله ، ولا شيء يضيع عند الخالق الجليل في معتقداتنا . وهكذا يرتقي العمل المخلص في حضارتنا إلى مستوى الرسالة والرجاء في فضل الله ورحمته] .

٥ ـ وهناك مشكلات تظهر في الإجابة عن أسئلة هامة تدور حول ماذا تعمل الأم لطفلها الذي يستيقظ في الليل ؟..

(١) انظر كتاب التهيؤ للوالدية للعالم المذكور ترجمة د . فاخر عاقل ص ١٨٤ .

هل تتركه يبكي ، أم تجعله ينام في غرفة خاصة به ؟؟.. وما العمل إذا كان له إخوة وأخوات ؟ هل الأفضل أن يقتسم المولود غرفة إخوته ؟ أم يظل ينام في غرفة أمه ؟؟..

وفي مثل هذه الظروف لا بد أن يتعاون الأب مع الأم ويقاسمها المشاق التي أشرنا إليها . (جاءنا أن بعض الأزواج يتناوبون العناية بالمولود : ساعات تقوم بها الأم ، وساعات يقوم بها الأب) .

٦ ـ وفيما يتعلق بنوم المولود فهناك إشكال يتعلق بمكان نومه ! فمن الممكن أن ينام في العربة ، والعربة أسهل وأيسر من حيث تحريكها وهدهدة الطفل لينام فيها ، إذا استيقظ . وإذا لجأت الأسرة إلى استعمال سرير الأخ الأكبر مثلاً ، فالمفروض أن تنظم الأم هذا الأمر قبل ولادة الطفل الجديد ، فتشتري للأكبر سريراً أكبر وأجمل ، فلا يغار الكبير من أخيه ، ويُحس أنه قدم لأخيه شيئاً جميلاً يملكه .

ولا بد من الإشارة إلى أن تحقيق الإجابة عن الأسئلة

السابقة يجب أن يتم بمشاركة الزوجين ، وأن تظل المحبة الصادقة والثقة وحمل المسؤولية بينهما تغمر حياتهما . ولا مجال لأن يهيمن أحد الزوجين على الآخر ، بل لا بد أن يظل الحوار والتعاون السبيل الأساسي في تعاون الأسرة .

الصحة الانفعالية والاجتماعية

لقد قرأنا في الحلقة الأولى من هذه الحلقات (الصحة النفسية للجنين) أن علماء النفس كانوا قبل أربعين عاماً (أي قبل اكتشاف نفسية الجنين ومشاهدة الفعاليات النفسية الزاخمة في بطن الأم بفضل التنظير) كانوا قبل هذا يقولون : إن السنوات الخمسة الأولى من عمر الطفل المولود هي المصدر الرئيسي الذي تصدر عنه فضائل الإنسان (أو رذائله) .

كانوا يقولون : إن المولود في هذه السنوات تُغرس فيه شتول السلوك خيرها وشرها . وتبعاً للخبرات التي يحصّلها المولود ، سيتكون منه إنسان سوي شجاع ؛ يفعل الخير ويحب الحياة والناس ، أو يتكون منه إنسان منحرف يميل إلى العدوان والشر ومجابهة الناس ، ويتميز بمقت الآخرين وكراهيتهم .

إن هذا الكلام صحيح وتؤيده الدراسات والتتبعات المتلاحقة في علم النفس شريطة أن تضاف إليه خبرات ما قبل الولادة ، تلك الخبرات التي يشبهونها بالبذور بالنسبة للشتول .

وهكذا أصبح من المؤكد أن البذور التي اكتمل نموّها في بطن الأم سوف تجد استمرار تفتحها في البيئة الأسرية كلها وتتحول من مجرد إمكانات جنينية إلى وقائع بعد الولادة وذلك تبعاً لمؤثرات الأسرة .

وفي مقابل الرباط البهيج الذي أشرنا إليه نجد الأمور قد تسير عند الجنين سيرها المؤسف بشكل استعدادات ، فالأم التي لم ترغب بالحمل أصلاً ، أو التي اعتبرته (تورطاً أصابها) أو مصيبة ألمت بها ، هذه الأم تترك في مولودها ـ إذا كُتبت له حياة ولم يُسقط ـ شعوراً بالخيبة يتعاظم ، وإحساساً بما يشبه الإحباط في شكل استعداد كامن للانحراف .

ومع هذا فالأمور تتعدل بعد الولادة بحيث تؤثر العلاقات الطيبة مع الأبوين تأثيراً لا يُنكر ، وإن كانت تتطلب مؤثرات ممتازة حتى يتم التعديل المذكور .

وهكذا فإن طفلاً يملك أبوين متفاهمين يصادقانه ويشجعانه ، ويساعدانه على نمو قدراته هو أفضل ـ من النواحي النفسية والاجتماعية ـ من طفل آخر ليس له مثل هذين الأبوين .

أما الأطفال الذين يتلقون مؤثرات مشوشة قبل الولادة ، أو معاملات مضطربة بعدها ، فإنهم كثيراً ما يُدفعون صوب الانحراف فترى بعضهم :

- سلبيين انسحابيين ومنكمشين يُعرفون بالتردد .
- أو عدوانيين يميلون إلى إثبات وجودهم بطريق التسلط والأذيّات .

والمهم أن كلاً من الانسحابيين والعدوانيين يملكون سمات انفعالية تجعل منهم أناساً يتميزون بالانحراف كما يأتي :

سمات الانحراف :

١ ـ يُحس الطفل من هؤلاء أنه قليل الأهمية ، وأنه قد

تخلّق في جوٍّ من التنكر منذ أن كان في بطن أمه فيُضطر إلى السعي بعد ولادته من أجل توكيد وجوده القلق ، فيقوم بأعمال تلفت الانتباه إليه ، وتشد أنظار الناس وتجبرهم على الاهتمام به .

٢ ـ وحين يشعر أنه لم يحرز الفائدة الكافية التي تُشبِعه ، وأن القليلين الذين يلتفتون إليه لا يمنحونه الاهتمام المطلوب أو التقدير الكافي ، فإنه سيلجأ إلى اتخاذ موقف المشاكسة والمجابهة ، ليجعل الآخرين يحسبون له الحساب فتكثر أذياته وأعماله الشائنة التي يتحدث عنها الناس من حوله فيُسرّ ويبتهج بذلك .

٣ ـ وإذا ما قوبل بإهانة مستمرة أو استنكار أبلغ ، فإنه يبالغ في أذاه ويمارس أفعال الثأر والانتقام .

٤ ـ وبعد ذلك يتخذ أسلوباً في التكيف يقوم على تكييف الآخرين كي يقبلوه ويقبلوا اتجاهه شاؤوا أم أبوا .

وهكذا نجد أن :

● الأولاد الـذين تتصف أمهـاتهم بـالعبث والانحطـاط الخلقي .

● والأولاد الذين تتصف أمهاتهم باليأس (من كثرة البنات أو الصبيان) .

● والأولاد الذين هَجرت أمهـاتهم ... فـاضطروا إلى البعد عن أبنائهنّ في سنٍ مبكرة .

● والأولاد الذين وُلدوا بغير أسرة وعاشوا وتربوا بالجملـة في ظروف غامضة مقلقة .

كل هؤلاء قد يملكون الاتجاهات المنحرفة التي أشرنا إليها ، ولكن يجب أن نعلم أن المنحرفين ليسـوا كلهم سـواء ، وهم لا يتماثلـون في أسلـوب اضطرابهم ولا يتشـابهـون في أفعـالهم التي تبـدر عنهم ، لأن هنـاك فروقـاً بين الأفراد ، وكل واحـد من الناس يسلك سلوكه السيء (أو الطيب) طبقاً لتوازنـه الخـاص ومقدار المساوئ (أو المحـاسن التي حصّلهـا) أو دخلت في خبرتـه

وذلك عدا مزاجه الشخصي السلبي ونوع الحياة التي عاشها أو التي ينوي أن يعيشها .

والملحوظ أن الطفل كثيراً ما يثار لسبب من الأسباب فيعمد إلى البكاء . والبكاء الذي كثيراً ما يُشاهد عند الصغار يستحق أن نتعرف إليه وإلى رأي الباحثين فيه .

بكاء الوليد

● من القضايا التي تشغل بال الأمهات كثيراً بكاء الوليد ، وهو موضوع اختلفت فيه الآراء ، فبعضهم يرى أن يُترك الوليد يبكي لمدة تتراوح بين ١٥ ـ ٢٠ دقيقة ، تقوى خلالها عضلات الصدر والرئتين . وآخرون يرون أن يسارع الكبار إلى إنهاء بكائه فور مباشرته له . وخاصة إذا كان عنده دافع الجوع أو الألم الناتج عن أي سبب آخر كالمغص أو النعاس . والأمهات اللبيبات يُميزن أنواع الصيحات وأسبابها ، وخاصة ما يرجع منها إلى الجوع (حينما يأتي موعد الرضاع أو الغذاء) .

● هذا وقد عثرنا على نص طريف كان ابن قيم الجوزية قد

قدمه في كتابه : تحفة المودود . يقول ابن القيم : « ولا ينبغي أن يشق على الأبوين بكاء الطفل وصراخه ، وسيما طلباً لشربة اللبن إذا جاع ، فإنه ينتفع بذلك البكاء نفعاً عظيماً ، لأنّه يروّض فيه أعضاءه ، ويوسع أمعاءه ، ويفسح صدره ، ويسخن دماغه ، ويحمي مزاجه ، ويثير حرارته الغريزية ، ويحرك الطبيعة لدفع ما فيها من الفضول ، كما ويدفع فضلات الدماغ ... »[١] .

● ويميز الباحثون أربعة أنواع من البكاء :

١ ـ بكاء الولادة ويستمر لبضع ثوان بعد أخذ نفسين عميقين يبدو أنهما يسببان آلاماً للرئتين ، وهو باختصار يرجع إلى اختلاف الوسط الذي يحيط به . ولا حاجة إلى تفسير بكاء المولود تفسيراً فلسفياً كأن يقال : إن الحياة أولها بكاء في بكاء وشقاء ... فالحياة أكبر وأعظم وأحلى من ذلك .

٢ ـ البكاء الأساسي[٢] بسبب الجوع ، ويسمع غالباً قبل

---

(١) تحفة المودود في أحكام المولود لابن قيم الجوزية الدمشقي ص ١٦٤ .

(٢) الدراسة الوثائقية لنفسية الجنين Paris Match فبراير ١٩٨٢ ، ص ١٢ .

وقت أخذ وجبة الرضاع أو الغذاء (بساعتين إلى أربع ساعات) .

٣ ـ بكاء الألم بسبب شك بالإبرة أو حقنة الطبيب ، وهي طويلة عنيفة يعقبها صمت طويل ثم بكاء جديد بعد استعادة التنفس .

٤ ـ بكاء الغضب ويشبه البكاء الأساسي مع مزيد من دفع الهواء خلال الحبال الصوتية .

● هذا وتقلق الأمهات حديثاتُ السن بسبب بكاء أطفالهن ، ويسعين لإيقافه فوراً ؛ بالإطعام وتلقيمه الثدي[1] فإن لم ينفع فباستعمال المصاصة . وقد وجد أن (الهدهدة) و (التربيت) على الظهر قد يفيد ، وكذلك (الهزهزة) بالسرير المتحرك .

(١) تخطئ أمهات كثيرات في بلادنا فتلقم رضيعها الثدي (أو المصاص) منذ أن يبدأ بالبكاء وبصورة آلية . وهذا سلوك واضح الخطأ ، لأن الوليد سيتعلم أنه كلما خطر بباله أن يشدّ أمه إليه أو يمارس سلطته عليها ، فإنه يشرع بالبكاء ، وهذا ناتج عن أن البكاء قد يكون عن ألم أو شكة دبوس .

على أن بعض علماء النفس يرون أن وضع أذن الصغير إلى صدر الأم يفيد في ضبط بكاء الانفعال والغضب ، وإيقافه ، ويعزون ذلك إلى أنّ الطفل يستأنس بسماع ضربات القلب ويستعيد ذكرياته[1] المحببة إليه وقت أن كان جنيناً في رحم أمه .

ويذهب بعضهم إلى القول : إن الطفل يُسكت نفسه إذا ترك يبكي وحده ولكن هذا السلوك يجب ألا يطول ... ومن ذلك أن أحد الأطفال تركه أبواه يبكي وحده بناء على هذه النصيحة المذكورة فبكى خمس ليال متوالية ، وكان يخف بكاؤه ليلة بعد أخرى ، وبعدها كف عن البكاء وأصبح وديعاً لدرجة ملحوظة ولا يهتم بأي شيء حوله ثم صار هامداً . رآه طبيب

(١) جاء في الدراسة الوثائقية لنفسية الجنين ص ١٣ ما يأتي : أصيب فريق من المواليد بإحدى المستشفيات بأمريكا بنوبة بكاء جماعية ، عجز القائمون على العمل عن حسمها وإنهائها ، ولم تنفع فيهم الموسيقا ولا الهدهدة ولا أي شيء ... وأخيراً أتت إحدى الممرضات بمسجّل (كاسيت) فلما سمعه المواليد سكتوا وركنوا إلى الهدوء . ولم يكن هذا الكاسيت يحوي إلا نبضات قلب أم ... يا سبحان الله .

نفسي ففحصه جيداً ثم قال : إنه مصاب « بتخلف نفسي ـ حركي » وقد تبين أن هذا التخلف ناشئ عن أنه تُرك وحده في حين كان في أشد الحاجة إلى أبويه حيث كانت أسنانه اللبنية بدأت بالظهور !...(١)

---

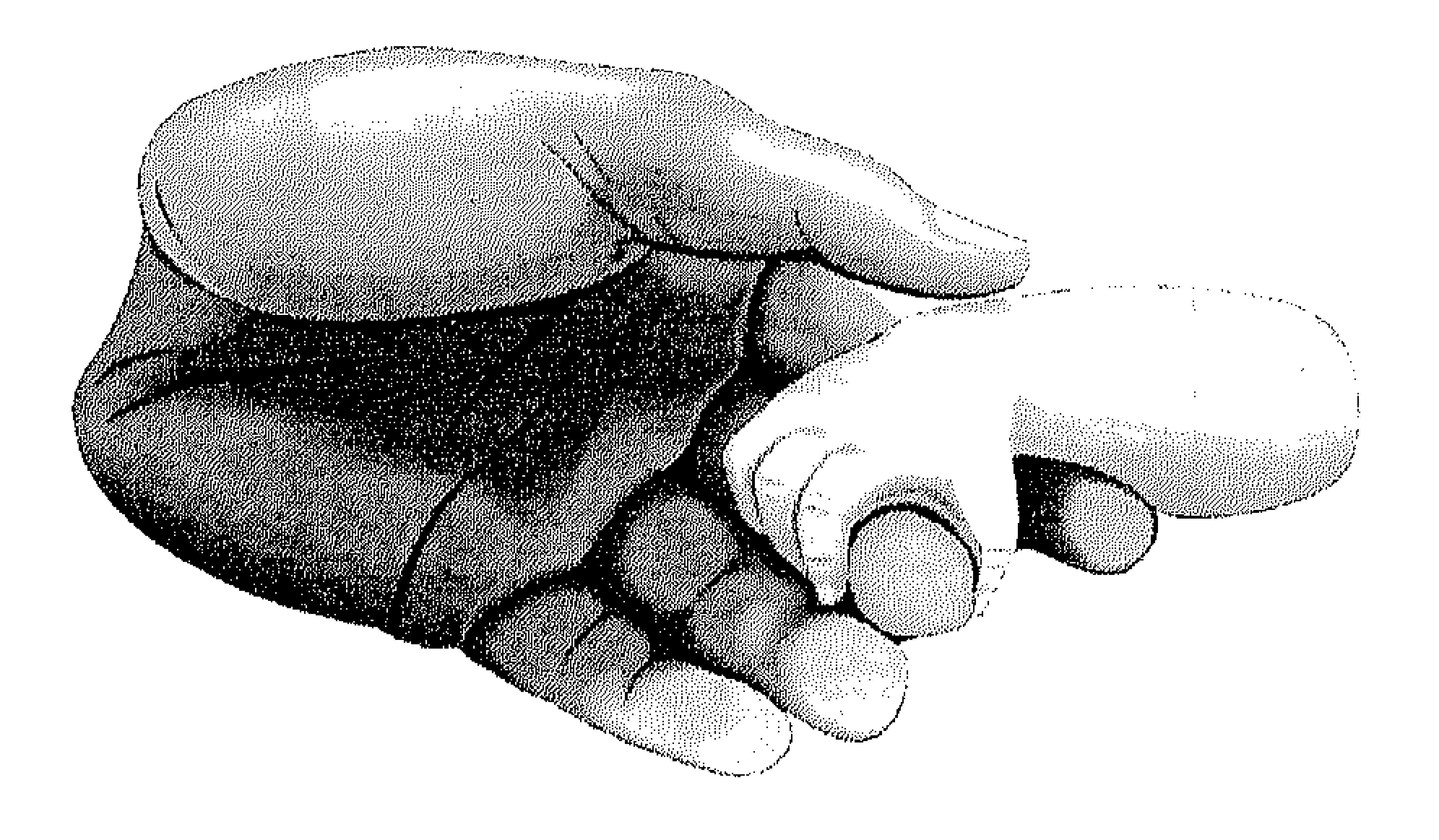
(١) تجربة خاصة : شكت إحدى الأمهات من أقربائنا ؛ أن مولودها لا يكف عن البكاء ، إلا حين تبدأ أمه بإرضاعه لكنه يعود إلى البكاء الذي يشتد ويشتد بشكل ملحوظ ، أخذ المولود إلى الطبيب فقام بفحصه فحصاً دقيقاً ، ثم أفاد أمّه أن ابنها لا يشبع ، لأنه لا ينال كفايته من اللبن ، وأنه بحاجةٍ إلى لبن أكثر ، ولما حققت الأم هذا المطلب وزادت في كمية اللبن التي يرضعها الصغير ، كفَّ عن البكاء ... ثم شرع يبتسم ويلعب طويلاً مثل الأطفال الآخرين .

الفصل الثالث

{وإذا الموؤودة سئلت}

[التكوير: ٨١/٨]

الأنثى عندهم وعندنا



في الدفاع عن الأنثى

﴿ خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾

[الأعراف : ١٨٩/٧]

كل الناس يعلمون ويعرفون الحقيقة البسيطة التي مفادها أن جميع أفراد البشر ، أبناءً وبنات ، قد ولدوا وأتوا إلى الحياة عن طريق النساء (أو الإناث) ، وعلى الرغم من هذه الحقيقة الواضحة كانت الأنثى تُحارب من سائر أقوام الدنيا ، ولم تجد لها من يدافع عنها ويناصرها مثل دين الإسلام ، ولا نقول هذا لأننا مسلمون ، ولكن نقوله لأنه الحق ، وهاكم الأدلة :

لقد كانت الأنثى موضع استخفاف واحتقار ، تحيا في أبسط الدرجات ، وفي درجة أشد كانت موضع إنكار لإنسانيتها ، وفي درجة أشد وأنكى كانت تتعرض إلى القتل أو الدفن (وهي حية) في صغرها تارة ، وبعد زواجها تارة أخرى .

فلننظر كيف عوملت المرأة في التاريخ وفي شرع الإسلام :

١ ـ **في الديانة المانوية** : جاء في أساطير (مانو) ما يأتي ؛ إن (مانو) عندما خلق النساء فرض عليهن حب الفراش ، وحبّب إليهن الزينة والشهوات الدنيئة بعيدةً عن الشرف وفرض عليهن سوء السلوك ، « إن النساء دنيئات كالباطل نفسه » .

٢ ـ **في الحضارة اليونانية** : جاء في أسطورة (بروميثيوس) أن (جوبيتر) كبير الآلهة قد ثار من الرجل الذي سُرقت النار من أجله ، أثناء نوم الآلهة ، وذلك بأن أرسل إلى الرجال (باندورا) المرأة وبين يديها صندوق مليء بالملذات والجواهر وجميع الشرور ، وهكذا لم تكن المرأة من جنس الرجال ، وإنما هي من جنسٍ آخر ، وقد أتت انتقاماً من الآلهة تحمل معها الشر ، ولما تولع بروميثيوس بـ (باندورا) وخلبت لبه ، أصابتْه باللوعة حين تزوجت أخاه (إپيموثيوس) .

٣ ـ **وفي الحضارة الرومانية** : كانت الأنوثة سبباً من أسباب انعدام القيمة والجدارة ، مثلها مثل حداثة السن

والجنون ، وكان الرومان يحكمون على الأنثى منذ زواجها أن تفقد اسمها وتُلقب باسم زوجها وأسرته وتمنحه أموالها ، وقد ظلت هذه الأمور سارية في المجتمعات الأوربية حتى وقت قريب من زماننا .

٤ ـ **أما رجال الكنيسة :** فقد غالوا في الحطّ من شأن الأنثى فقالوا : «أولى بالنساء أن يخجلن من مجرد كونهن نساء» ، « إن النساء باب الجحيم ، وهنّ الخطيئة مجسدة ومؤكدة » ، و « إن حواء ـ وهي أم الأمهات ـ هي منطلق الغواية فهي التي تسببت بهبوطنا من الجنة » ، وقد تدارس رجال الكنيسة فتناقشوا وتحاوروا في المسائل الآتية (في القرون الوسطى) :

ـ هل المرأة إنسانة كالرجل وتملك مثله روحاً خالدة ؟ أم أنها تنتمي إلى عالم الحيوان ؟ أم تقع بين بين ؟!

ـ هل المرأة قادرة على أن تعبد الله كالرجل وتدخل باب السماوات ؟!.

ـ هل المرأة تملك النزاهة فتُخلص لله ، وتتخلى عن دورها كأداة للشيطان ؟!.

٥ ـ **وفي الحضارة الهندية :** اعتُبرت الأنثى تابعةً للذكر ، ولا تملك الشخصية ولا الإرادة ، بحيث إنها (حين يتوفى زوجها) يتوجب عليها أن تموت معه .

٦ ـ **في عرب الجاهلية :** كانت البنت عاراً على المجتمع والأسرة منذ ولادتها ، ولا يتحملها الجاهلي بسبب عارها فيئدها لهوانها ، أو خشية الفقر ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾ [التكوير : ٨/٨١ ـ ٩] ، وقال ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَى ظَلَّ وَجهُهُ مُسَوداً وهُو كَظِيمٌ يَتَوارى مِن القَومِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ به أَيمسِكُهُ على هُونٍ أم يَدُسُّهُ في التُّرابِ أَلا سَاءَ ما يحكُمُونَ ﴾ [النحل : ٥٧/١٦ ـ ٥٨] .

وأكد الفقهاء دفاعهم عن الأنثى فكتبوا في كراهة تسخُّط البنات[1] .

٧ ـ **وفي الإسلام :** اعتبرت الأنثى في شرع الله أختاً للذكر في إنسانيتها واعتبارها وكرامتها فكانت هي والرجل في منزلة واحدة ، وهذه هي النظرة التي تتوافق مع الفطرة السليمة

(١) تحفة المودود في أحكام المولود (ابن جوزية الدمشقي ص١٥) .

والرأي السديد بعيداً عن غطرسة القوة عند الرجال قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّها النَّاسُ إِنَّا خَلقنَاكُم مِن ذَكرٍ وأُنثَى وَجعلنَاكُم شُعُوباً وقَبائلَ لتَعَارفُوا إنَّ أكرمَكُم عنـدَ اللهِ أتقَاكُم ﴾ [الحجرات : ١٣/٤٩] ، وهكذا لم تعد الكرامة خاصة بالذكران ، وإن كان هؤلاء أقدر على الأذى ونيل المشتهى ، وأقدر على المنع والمنح في سائر العصور ، وهكذا عرف المسلمون وآمنوا يقيناً أن الأنثى تساوي الذكر ، وهي أخته في الاعتبار ، وفي نسبها إلى الإنسانية ، فهي والذكر من أصل واحد « كلكم لآدم وآدم من تراب » ، قال تعالى : ﴿ يَا أيُّها النَّاسُ اتَّقُوا ربَّكُم الَّذي خَلقَكُم مِن نَفسٍ واحِدةٍ وخَلَقَ مِنْها زَوجَهَا ﴾ [النساء : ١/٤] .

وفي مقابل الدعاوى التي انتشرت بين الناس قائلة : « إن الأنثى هي أساس الغواية ، وهي التي كانت السبب في هبوط البشر من الجنة » يقول تعالى مخاطباً آدم وزوجه حواء : ﴿ أَلَم أَنهَكُما عَن تِلكُمَا الشَّجَرَة ﴾ [الأعراف : ٢٢/٧] ، وهذا يعني أنهما مسؤولان معاً عن سبب الهبوط ، فلا مجال لأن تُتهم حواء وحدها بالخطيئة .

وقد جعلت النساء في منزلة الرجال في البيعة يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّها النَّبيُّ إذَا جاءكَ الْمُؤمنَاتُ يُبايعنَكَ ..... فَبَايعْهُنَّ واستَغفِر لَهُنَّ اللهَ إنَّ اللهَ غَفُورٌ رحيمٌ ﴾ [الممتحنة : ١٢/٦٠] .

ومن حيث التملُّك : اعتُبرت الأنثى ذاتاً مؤهلة للامتلاك ولها شخصيتها المالية ، وللمرة الأولى في تاريخ العالم .

لقد كان أهل الجاهلية لا يورثون المرأة شيئاً ، وفي الإسلام لا تُكلَّف المرأة إعالة أحد سواء كانت في بيتها أم بعد زواجها ، فليس للزوج أن يسطو على شيء من مال زوجته إلا برضاها وكامل حريتها .

يقول ابن حزم : « لا يجوز أن تُجبر المرأة على أن تتجهز للزوج بشيء أصلاً ، لا من مالها ولا من صداقها[1] ، والصداق كله لها تفعل به ما شاءت ولا إذن للزوج في ذلك ولا اعتراض » ، ثم يقول : « ولها (أي الزوجة) أن تهب صداقها بعضه أو كله لمن شاءت ، ولا اعتراض لأب أو زوج على ذلك » .

---

(١) والصداق هو ما يقدمه الزوج لزوجته حين الزواج .

ومن النـواحي الاجتماعيـة : قرر الفقهـاء أن البنت إذا بلغت وظهرت عليها سماتُ الرشد، فإن لها الحق في قبول أو رفض من أتى يطلب يدها ، ولا يسمح لأحد أن يجبرها على قبول من لا تريد ، ولا أن يمنعها من الزواج بمن ترضاه من أهل الخلق والدين ، فذلك شأنها وحدها ، وإذا كان الزواج يتم بواسطة الولي ، فالولي أداة حماية وتوسط ، وليس للولي على البنت أمر[1] كما صرح رسول الله ﷺ . يقول ابن القيم : « إن البالغة الراشدة لا يتصرف أبوها في شيء من مالها إلا برضاها ، ولا يُجبرها على إخراج اليسير منه بدون إذنها فكيف يجوز أن يُخرج نفسها منها بدون رضاها ؟ »[2] .

وبمشيئة الله سنعمد إلى وضع حلقة خاصة من حلقات سلسلة (الصحة النفسية) لنتحدث فيها عن أهمية المرأة في بناء الأسرة ، ونكتفي الآن بقولنا إن الله تعالى قد منَّ على البشر فقدم لهم آيات كثيرة ومنها قوله تعالى : ﴿ ومن آياتـهِ أَنْ خَلَقَ

(١) رواه أبو داود والنسائي .

(٢) راجع زاد المعاد .

لكُم من أنفُسِكُمْ أَزواجـاً لتَسْكُنُوا إليهـا وجَعَلَ بينَكُم مـوَدَّةً ورَحْمَـةً ﴾ [الروم : ٣٠/٢١] ، فـالأزواج أيـاً كانـوا هم من نفس واحدة .

ولنلاحـظ قولـه تعـالى لتسكنوا إليهـا ، ولم يقـل لتسكنـوا معها ، فالقضية ليست قضيـة مسـاكنـة أو تعـايش بين كائنين ، وإنما هي قضية سكينة والسكينة[1] لا تكون من طرف واحد بل من الطرفين معاً وكلاهما هام .

وفي صحيح مسلم من حـديث أنس بن مـالـك قـال : قـال

(١) وفي رأينـا أن السكينـة هي مـزيـج من الطمأنينـة والأمـان النفسي ، مـع الشعور بالتقدير والانتماء إلى وسط قيم ملؤه الجدارة ، ولا يـدرك السكينـة إلا من يعيش فيها ويتذوقها ، والإنسان المعاصر في أشد الحـاجـة إلى هـذه السكينة ، وليس ذلك من أجل تفريغ التوترات الناشئة من الحياة العامة المعقـدة ، وإنمـا من أجل أن تسود المودة بين أطراف الزواج ، إن الرجـل ـ في نظر حضارتنـا ـ فـارس الحيـاة ، والمرأة حـارسـة الأسرة وإذا غـدت المرأة فارسـة فستكون فروسيتهـا على حسـاب أنوثتهـا ، وستصبح كالرجل الذي يكتفي بالحراسة ، ونرجو أن نتمكن من إيضاح هذه النـاحيـة بشكل مفصل فيما بعد (إن شاء الله) .

رسول الله ﷺ : « من عال جاريتين حتى تبلغا ، جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا ، وضمّ أصبعيه » .

ومن حديث أيوب بن بشير الأنصاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « لا يكون لأحد ثلاث بنات أو بنتان أو أختان ، فيتقي الله فيهن ويحسن إليهن إلا دخل الجنة » .

وأنبأ نهاس عن شداد بن عمار عن عوف بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « من كان له ثلاث بنات ينفق عليهن حتى يبنّ (أي يصلب عودهن ويقوين) أو يمتن كن له حجاباً من النار » . وفي موضع آخر قالت امرأة : يا رسول الله وابنتان ؟ قال وابنتان .. وظننّا أنهم لو قالوا : أو واحدة لقال أو واحدة ، هذا مرسل .

وعن النبي ﷺ أنه قال : لا تكرهوا البنات فإنهن المؤنسات الغاليات .

وقد قال تعالى في حق الإناث ﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى

أَن تكرَهُوا شَيئاً ويَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خيراً كَثِيراً ﴾ [النساء : ١٩/٤] ، وهكذا البنات قد يكون فيهن للعبد خير كثير في الدنيا والآخرة ، ويكفي في قبح كراهتهن أن يكره ما ارتضاه الله لعبده وأعطاه ، وقال صالح بن أحمد : كان أحمد إذا ولد له ابنة يقول : « الأنبياء كانوا آباء بنات » ، ويقول يعقوب بن بختان : ولد لي سبع بنات ، فكنت كلما ولد لي ابنة دخلتُ على أحمد بن حنبل ، فيقول لي : يا أبا يوسف ، الأنبياء آباء بنات ، فكان يُذهب قوله همي .

البشارة بين البشر

في استحباب بشارة من ولد له ولد وتهنئته :

قال الله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام ﴿ ولَقَدْ جاءَتْ رُسُلُنا إبْراهِيمَ بِالبُشْرى ، قَالُوا سَلاماً قَالَ سَلامٌ ، فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنيذٍ ☆ فَلَمّا رَأَى أَيدِيَهُم لا تَصِلُ إِليهِ نَكِرهُم وأَوْجَسَ مِنهُم خِيفةً ، قَالُوا لا تَخَفْ إِنّا أُرْسِلْنا إلى قَومِ لُوطٍ ☆ وامْرَأَتُهُ قائِمةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرناها بِإسحاقَ ومِن وَراءِ إِسحاقَ يَعقوبَ ﴾ [هود : ٦٩/١١ ـ ٧١] .

وقال تعالى : ﴿ فَبَشَّرنَاهُ بِغُلامٍ حليمٍ ﴾ [الصافات : ١٠١/٣٧] ، وقال ﴿ وَبَشَّروهُ بِغُلامٍ علَيمٍ ﴾ [الذاريات : ٢٨/٥١] .

وقال تعالى : ﴿ يا زَكَرِيا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سِمِيّاً ﴾ [مريم : ٧/١٩]، ولما كانت البشارة تسر العبد وتفرحه ، استحب للمسلم أن يبادر إلى مسرة أخيه وإعلامه بما يفرحه .

ولما ولد النبي عليه الصلاة والسلام بشرت به ثويبة أبا لهب وكان مولاها ، وقالت : قد ولد الليلة لعبد الله ابن ، فأعتقها أبو لهب سروراً به ، فلم يضيع الله له ذلك وسقاه بعد موته كنوع من الرحمة .

فإن فاتت المرءَ البشارة استُحبت التهنئة ، والفرق بينهما : أن البشارة إعلام له بما يسره ، والتهنئة دعاء له بالخير بعد أن علم به .

هذا وكان الناس في الجاهلية يقولون في تهنئتهم بالنكاح : بالرفاء والبنين ، والرفاء الالتحام والاتفاق ، أي تزوجت زواجاً نتمنى فيه لك أن يحصل به الاتفاق والالتحام بينكما ، والبنون ، فيهنئون بالبنين سلفاً وتعجيلاً . هذا ولا ينبغي للرجل أن يهنئ بالابن ولا يهنئ بالبنت ، بل عليه أن يهنئ بهما

معاً ، وذلك كي نتخلص من سيئة الجاهلية ، فإن كثيراً منهم كانوا يهنئون بالابن ، وبوفاة البنت قبل ولادتها .

وروي عن الحسن البصري : أن رجلاً جاء إليه ، وعنده رجل قد ولد له غلام فقال له : يهنئك الفارس ، فقال له الحسن : ما يدريك أفارس هو أم حمار ؟! قال فكيف نقول ؟.. قال : قل : بورك في الموهوب ، شكرت الواهب وبلغ أشده ورزقت بره .

هذه هي البشارة بين البشر ، وهناك ما هو أجلّ وأقوم إنها :

البشارة من الله تعالى

روى أنس عن النبي ﷺ أنه قال :

● إذا ولدت الجارية (أي البنت) بعث الله عزّ وجل ملكاً يزف البركة زفاً ويقول : ضعيفة خرجت من ضعيفة ، القيم عليها مُعانٌ إلى يوم القيامة .

● وإذا ولد الغلام بعث الله ملكاً من السماء فقبّل بين عينيه وقال : الله يقرئك السلام ..

الفصل الرابع

الصحة النفسية للرّضاع



الصحة النفسية للرضاع

يظن الكثير من الناس أن الرضاع مجرد تغذية جسدية للصغار ، تغذية بلبن سائل ، وكذلك يقول الماديون من علماء النفس ، هؤلاء الأخيرون يرون أن الإرضاع عملية ملءٍ لمعدة الصغار بطريق الامتصاص ، فإذا كان الكبار يتغذون بواسطة الأسنان فإن الصغار يتغذون بواسطة الامتصاص ، والأمر واحد في نظر الماديين وهو امتلاء المعدة وسواءٌ أتم الامتلاء بفضل ثدي الأم أم بالإرضاع الاصطناعي فالقضية واحدة .

ونحن سنعمد إلى بيان الفروق النفسية ، التي تجعل الرضاع من ثدي الأم يختلف عن الرضاع الاصطناعي ، ولكننا قبل هذا سنوضح الخطأ الذي وقع فيه الباحثون الماديون من علماء النفس في فهمهم لعملية الرضاع .

جاء في علم النفس الإجرائي قولهم[1] : إن الرضاع عملية

(١) الطفل مرآة المجتمع ، د.م عماد الدين إسماعيل ص٤١ ، طبعة الكويت =

امتصاص تخضع لقوانين التعلم من حيث إنها مكافأة فيها استمتاع بسائل دافئ ، ونحن نقول : إن هذا الكلام قد يكون صحيحاً في مراحل متأخرة من الرضاع ، أي بعد أن يمارس الطفل الرضاع على فترات ، يتعلم فيها الامتصاص ويربطه بالابتلاع ، ويستمتع بوصول السائل الدافئ إلى معدته .

أما في البدء : أي في التجارب الأولى من الرضاع فإن الأمر يتم بوصفه من المعطيات الفطريّة أو كفعلٍ معطى أولي ، أو (غريزة إلهية) ، أو لنقل (آية من آيات الله) ، فالمولود الذي كان يعتمد ـ وهو في بطن أمه ـ على التغذية بفضل الحبل السري كان في الوقت نفسه قد بدأ الامتصاص بالفم قبل ولادته ، وقد أثبتت ذلك التجارب (التي أشرنا إليها في الحلقة الأولى) وصُوِّرت أجنة كثيرة تمص أصبعها وهي في بطن أمهاتها .

وشيء آخر هو أن الرضيع ، كما يرى علماء النفس التجريبي مزود بقدرة على البلع تبلغ ثلاثة أضعاف قدرة الراشدين عليه ، وفي هذه الملاحظة حكمة إلهية رائعة لا يمكن أن تكون وليدة

= ١٩٨٦م .

الصدفة الإجرائية ، بل تؤكد هذه التجارب أن الرضاع عملية كاملة أو تكاملية تنسجم فيها حركات المص مع الابتلاع وكلاهما ينسجم مع التنفس ، ومن أجل أن تؤدي هذه الجزئيات (المص ، البلع ، التنفس) وظيفتها المتكاملة يجب أن تخضع كل جزئية إلى الأخرى وتخدمها ، فمن الحكمة إذن أن يُسهل المص والبلع بكميات واسعة لتحقيق الوظيفة الكلية وهي حصول التغذية ، سبحانك يا رب ما أدق صنعك .

موازنة بين الرضاع الطبيعي والرضاع الصناعي

١ ـ إن الرضاع بواسطة ثدي الأم يختلف اختلافاً كبيراً عن الإرضاع الصناعي بواسطة الزجاجة ، فالأول تجربة نفسية ، وجسدية بل واجتماعية متكاملة ، وهو أول تجربة نفسية حلوة وكبيرة الأهمية ، فالرضاع بالثدي هو أول تجربة تلتقي فيها ذات الطفل مع ذات الأم ، على البهجة والفرح الإنسانيين ، يستمتع بها المولود كما تستمتع الأم المدركة بكل معاني الأمومة والطفولة .

٢ ـ وفي أوائل القرن العشرين وحتى منتصف الستينات كانت عملية الرضاع في العالم المتمدن تعني ملء معدة المواليد باللبن ، وكان الباحث ينظر إلى اللبن من ناحية كونه مناسباً (أو غير مناسب لمعدة الصغار) أي من ناحية تركيبه الكيماوي ، وكان أي لبن يناسب الصغار يعد جيداً وملائماً ، وقد اختير لبن البقر ليكون اللبن الرئيسي لتغذية الصغار .

٣ ـ تكونت عدة شركات كبيرة لإنتاج اللبن الصناعي ، وجنت أموالاً طائلة ، وكانت ترسل إلى الأمهات الولودة هدايا هي عبارة عن صندوق من علب اللبن المجفف ، وكان يكتب عليها أول الأمر « هذا اللبن أفضل من لبن الأم » ، ولما ظهر جلياً كذب هذا الكلام صاروا يكتبون « هذا اللبن يساوي لبن الأم » ، ثم عُدل النص الأخير بعبارة « هذا أفضل لبن بعد لبن الأم » وكانت هذه الشركات تتابع دراساتها وتحليلاتها للحصول على أفضل وقود مادي ، أو غذاء كياوي يصلح ليملأ معدة الرضيع .

٤ ـ ثم أدرك الباحثون أن قضية الرضاع هي أكثر من مجرد

ملء المعدة بالوقود ، لقد توسع الموضوع للبحث في الأم المرضع وفي أسلوب الرضاع وفي العلاقة النفسية الحلوة بين الأم ورضيعها .

فأظهرت الدراسات أن **الرضاع استجابة تكاملية هدفها ضمان النمو من سائر النواحي الجسدية والنفسية والاجتماعية للطفل** ، وأن من الخطأ الفصل بين هذه الأنواع من النمو ، حيث إن الرضاع سلوك نفسي ، أو هو استجابة نابعة من كامل الشخصية ، إن طفلاً يتناول غذاءه من ثدي أمه يمارس فعالية واسعة .

فعاليات واسعة

- إن الوليد حين يكتشف أمه وتظل قريبة منه ، سيراها كل عالمه .
- ويكتشف أشياء العالم من خلالها .
- وحين يكتشف البهجة والمسرة مرتسمة على وجهها ، يبادلها ابتساماً بابتسام وعذوبة بعذوبة .

● ويكتشف نفسه بوصفه محبوباً (أي كائناً مقبولاً) من قبل الآخرين وعلى رأسهم الأم .

● ونظراً إلى أنه يحيا أول أيام حياته ، فإنه يحتاج إلى دعم وجوده القلق بشيء خارجي يمنحه الثبات .

موجز القول : إن الرضاع الفطري بواسطة ثدي الأم يجعل الرضيع :

١ ـ يلّذ بامتصاص الغذاء مصحوباً بالدفء ولمسات الحنان ، وهو يهدأ ويهنأ في حجر أمه .

٢ ـ وحين يكون هذا الرضاع مضطرباً أو متقطعاً أو غير مشبع أو مصحوباً بانفعال الأم فإن من شأن هذا أن يؤذي الطفل ويفضي به إلى اضطرابات نفسية .

٣ ـ تبين أن كثيراً من حالات الصراع عند الكبار يمكن أن ترجع إلى الصراع الطفولي[1] ، وأن هذا الأخير قد يرجع إلى اضطراب الرضاع .

---

(١) تبين أن المواليد الذين يحرمون من دفء صدر الأم خلال الرضاعة

٤ ـ ولما كانت مظاهر الحب والمودة ترتبط عند الطفل بظروف تغذيته ، فقد نشأت الصلة الوثيقة بين دلالات الحب وحركات المعدة .

٥ ـ إن الحرمان من الأم خلال التغذية قد يدفع الطفل ـ حين يكبر ـ إلى الشعور بالحرمان من الأم وعطفها ، وإلى التعويض عن طريق الطموح المفرط ، ومضاعفة الكدح والتظاهر باللامبالاة وإرغام نفسه إلى بذل الحب والعطف للآخرين (وتُشاهد هذه السمات في الأفراد المصابين بالقرحة المعدية) .

٦ـ كان الطبيب[١] (بولبي) قد كُلف بالعناية بأطفال إنكلترا خلال نقلهم إلى أمريكا هرباً من الحرب العالمية الثانية

= يكونون أقل توافقاً وتكيفاً فيا بعد ، وبالمقابل فإن الأطفال الذين ينعمون بقدر وافر من الرضاع الطبيعي يكونون أكثر هدوءاً وأقل توتراً من الذين يحرمون من هذه المتعة ، ويربط البعض بين عدم الإشباع من الرضاع في الطفولة وبين نمو أساليب فموية مفرطة في المستقبل مثل التدخين والنهم إلى الطعام ومص الأصابع .

(١) راجع كتاب أصول علم النفس للدكتور أحمد عزت راجح ص٦٠٣ .

ومخاوفها ، فتبين له أن الأطفال الذين يعيشون بعيدين عن أمهاتهم ويوكل أمرهم إلى من يعاملهم بالجملة ؛ ترتسم على وجوههم وبشكل ثابت مشاعر الوحشة والتعاسة والعزلة ، ولاحظ أنهم يعجزون عن عقد صداقاتهم مع الآخرين ، أو تقبل الحب وتبادله ، وظهرت عندهم بشكل واضح نزعات عدوانية صريحة ـ حين بلغوا سن الرشد ـ وكانوا أعصى على العلاج والتقويم من غيرهم .

أيتها الأم الغالية(☆) :

لقد ملأتِ طفلك باللبن الاصطناعي .. فبدا وكأنه عجل بشري !.

ليتك تعلمين ... جربي إذا كنت لا تعلمين ، كم يكون أقرب إلى قلبك ، وكم يهنأ هو إذا رضع من ثدييك ...

(☆) هذا الكلام موجّه إلى الأمهات اللواتي يلجأن إلى الرضاع الصناعي مباشرة دون أن تكون ثمة حاجة إلى دعم رضاعتها طفلها .
أمّا الأم التي لا تملك لبناً في ثدييها أو التي لا يكفي اللبن المتوفر لديها فالضرورات تنفي المحظورات ويقال لهؤلاء النسوة أن يتصرفن وفق مصلحة الرضيع .

إن الأم التي تعطي ثديها لطفلها لا ترضعه لبناً وحسب بل ترضعه لبن العطف الإنساني .

الدراسة التحليلية لمحتويات لبن البقر

١ ـ إن لبن البقر يحتوي على دسم أكبر ، إنه مُعدّ لتنمية العجول ، ويصلح للبشر الراشدين دون التعرض لضرر الدسم ، وبالمناسبة فإن الدسم الزائد يؤدي إلى استعداد لتصلب الشرايين والأكزيما والروماتيزم .

٢ ـ يحوي لبن البقر قدراً أكبر من البروتينات يحدد بثلاثة أضعاف حاجة المواليد .

٣ ـ ويحتاج مولود البقر إلى البروتين لينمو جسده ولا يحتاج إلى تنمية دماغه وحجيراته العصبية .

٤ ـ وقد تبين أن الأطفال الذين يتغذون بلبن البقر يحتمل أن يصابوا بالتضخم بالكبد والكليتين .

محتويات لبن الأم البشرية

١ ـ يكون متناسباً مع الوضع الصحي والعضوي والنفسي للرضيع .

٢ ـ يتطور مع الأيام ويتدسم بالتدريج متوازناً مع نمو الطفل .

٣ ـ وهو ملائم في حرارته ودفئه لمعدة الطفل ، (ملحوظ أن لبن المصاص قد يكون حاراً أكثر مما يلزم أو أقل فتحدث تعقيدات في المري والمعدة عند المواليد) .

٤ ـ والشيء الهام هو أن لبن الأم يحتوي على نسب عالية من السكر والحوامض الضرورية لنمو خلايا الدماغ عند الطفل البشري (أما لبن البقر فقد أعده الخالق الجليل ليكون غذاءً للعجول ، وهي الكائنات التي لا تحتاج أدمغتها إلى النمو ، وبخلاف ذلك تحتاج أجسامها إلى مزيد من البروتينات)[١] .

---

(١) وقد ثبت أن الأطفال الذين لم يكتسبوا ما يلزمهم من السكر والحوامض الآمينية في أثناء رضاعهم ، يتميزون بضعف عقلي واضح وذكاء أقل ، وأن ما فاتهم في طفولتهم لا يُعوض .

٥ ـ ثم إن حليب الأم لا يشتمل على عناصر غذائية فقط، بل على عناصر وقائية ضد أمراض البشر الجرثومية ، وهذه هي النتائج المقاومة التي توصل إليها الباحثون في مؤتمر عقده علماء التغذية في باريس عام ١٩٧٢ .

أسلوب الرضاع

ينصح الخبراء النفسيون الأم المرضع بأن تجعل الأطفال في حجرها أثناء الرضاع ولو كان اصطناعياً ، فتضعه قريباً من صدرها وتحيطه بذراعيها كما لو كان يرضع رضاعاً طبيعياً من ثديها وتتابع النظر إليه وتبادله النظر بعينيها .

أما إذا كانت ترضع وليدها من الثدي فعليها أن تتجنب في إرضاعه حالاتها الانفعالية وما يعتريها من غضب أو حزن وما يشبههما ، وبخلاف ذلك عليها أن تقدم لمولودها مأدبة شهية من لبن سائغ ﴿ لَذَّةٍ للشَّارِبينَ ﴾ [الصافات : ٤٦/٣٧] [محمد : ١٥/٤٧] ، وكما يقدم الإنسان مأدبة شهية إلى أصدقائه حين يدعوهم إلى طعام عنده ، فيظهر لهم المودة ويبدي لهم البهجة

والمسرة فإن الأم اللّبيبة لا تقصّر في هذا الأمر لا سيما حين تعلم وتقرأ قول الشاعر حاتم الطائي :

وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى
ولكنما وجه الكريم خصيب

ويؤكد المختصون أن على الأمهات (في حالات الإرضاع الطبيعي) اتباع ما يأتي :

١ ـ أن تركز ذهنها في إرضاعه وتطرد عنها (منذ أن يبدأ الرضاع) الشواغل والانفعالات .

٢ ـ أن تسعى كي تكون في لحظات الإرضاع مرتاحة (الجسم والنفس) وطبعاً فإن سماعها تلاوةً عذبة مباركة ، أو أشعاراً لطيفة أو أصواتاً موسيقية هادئة .. كل هذا يجعل الرضيع يهنأ بالرضاع ، وتنتقل إليه مُتع أمه وأفراحها[١] .

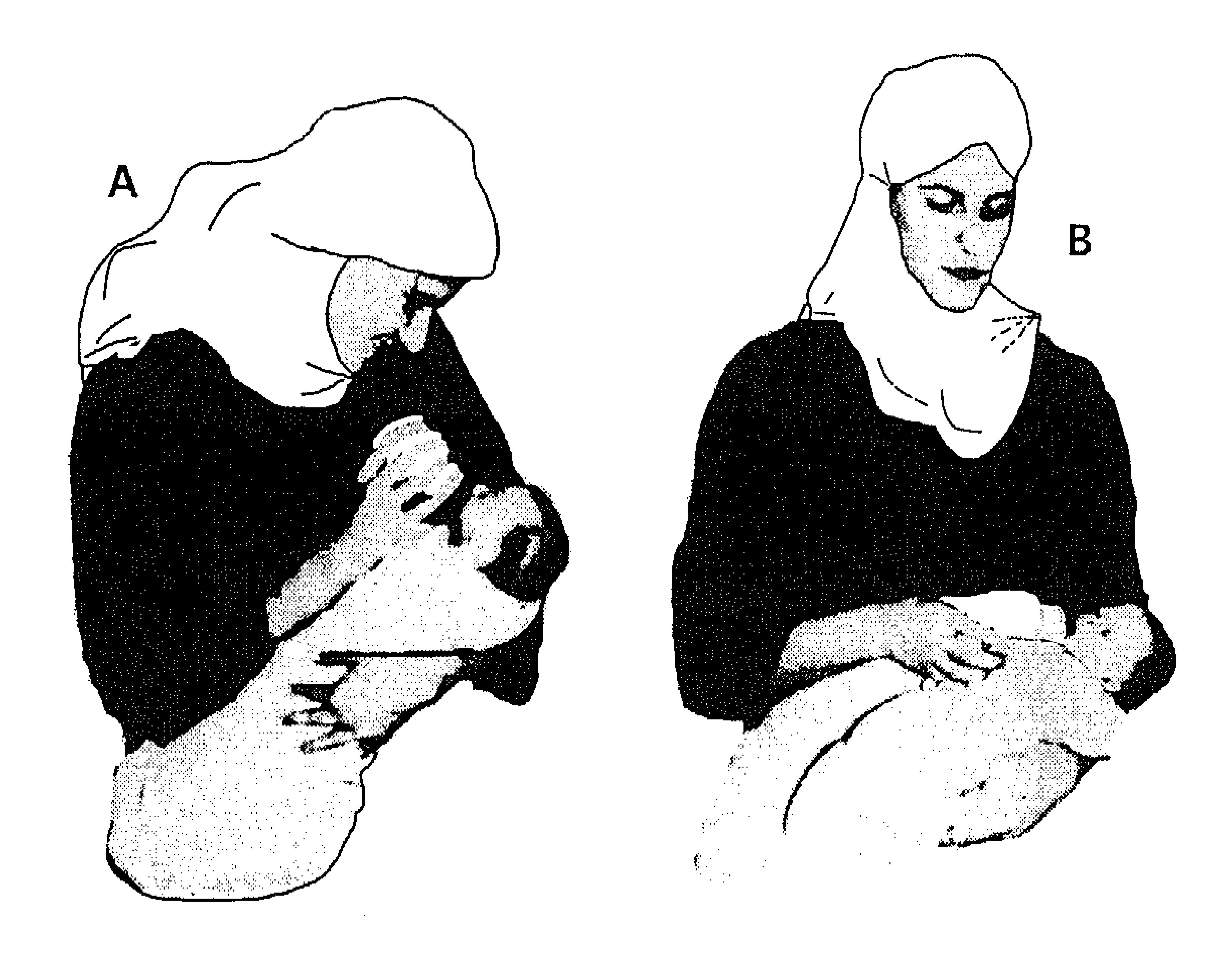
٣ ـ وعليها أن تذكر أنها تغذي أغلى كائن على قلبها وتحلُم بنموه ونضجه وأيامه الزاهرات .

(١) ثبت أن الأبقار التي تُحلب تُدر ألباناً أوفر حينما تجد العناية بها والدفء ، أو تستمع إلى الموسيقا ، فما بالك بالإنسان .

٤ ـ وعليها أن تحمي خده وتسند رأسه وأذنيه بكفها ودفء يدها .

٥ ـ وحين تثبت عينها عليه ، فإنها تتيح له مزيداً من الأنس فيشعر أنه يتغذى منها ، وكأنه يمتصها ويستمتع بأنوثتها .

٦ ـ ولتذكر المرضع عبارة شيكسبير إذ يقول « لا ترضع الأم وليدها لبناً فقط ، بل ترضعه لبن العطف الإنساني » .



حين تضطر الأم إلى الاستعانة بالرضاع الاصطناعي فيجب عليها أن تراعي الوضع الصحي الملائم :

- يتمّم الوضع الملائم (في الصورة A) بالتصاق جسم الطفل بجسم أمه كما لو كان يرضع فعلاً من ثديها .

- تركز الأم نظراتها على صغيرها ، وعيناها تلتقيان بعيني الطفل الرضيع .

- تكون الرضّاعة بشكل رأسي أو عمودي بالنسبة إلى الفم ، وبذلك ينساب اللبن إلى فمه فيسهل الامتصاص والابتلاع .

وفي الصورة الأخرى (B) نرى الوضع غير الملائم للرضاع :

- فجسم الطفل بعيد عن جسم أمه .

- ونظرات الأم غير مركزة على نظرات الصغير ولا تلتقي معه ، إنها شاردة عن الرضيع .

- الزجاجة مائلة ولا تساعد الطفل على سهولة الامتصاص والبلع ، تلك أخطاء ثلاثة .

نقلاً عن كتاب(**Parent infant Bonding**)

الفصل الخامس

الصحة النفسية للفطام

الفطام

ليس الفطام في منظار الصحة النفسية للطفل مجرد تحول في أسلوب الغذاء وانتقاله من اللبن ذي السيولة إلى الطعام الجامد ، أو من الامتصاص إلى المضغ وهرس الغذاء بالأسنان ، وإنما هو فعالية أعقد وترتبط بها أنشطة عديدة ، إنه تطور نفسي لكل من الأم ورضيعها ، قوامه تحرر الصغير ، وتجاوزه الاعتماد على أمه إلى الاعتياد على إطعام نفسه .

ومثل هذا التطور أو التحول ضروري لنمو ذاتية الرضيع وتفتح شخصيته ودخوله عالم (الذين كبروا) وراحوا يخدمون أنفسهم بأنفسهم ، ومن أجل إيضاح ما يجري نلاحظ ما يلي :

١ ـ كانت حياة الطفل في الأيام والشهور الأولى بعد الولادة تقتضي الحماية المطلقة مع الرعاية التامة ، ولنذكر أن المولود يتابع على الأرض بعد ولادته ، حياته التي كانت قد

بـدأت في بطن أمـه ، وفي هـذه الفترة التي يمكن أن تستمر خلال السنتين الأوليين يظل المولـود يتـابـع غـذاءه من لبن أمـه ، ذي الصلة المباشرة بدمها المصدر الرئيسي لغذائه الداخلي ، الذي كان قبل الولادة إن في طبيعتـه وتركيبتـه ، أو في ملاءمتـه لكل من الأم وابنها .

٢ ـ تؤكد الدراسات العلميـة المحـدثـة أن على الأم أن ترضع وليدهـا سنتين اثنتين ، والرائع أن القرآن الكريم كان قـد حـدّد الرضـاع بسنتين قـال تعـالى : ﴿ والـوَالِـدَاتُ يُرضِعنَ أَولادَهُنَّ حـولَينِ كَـامِلينِ ﴾ [البقرة : ٢/٢٣٣] ، ويكـون الفطـام جـاريـاً بالتدريج خلالهما .

٣ ـ ويشير المؤلف القـديم ابن قيم الجوزيـة[١] إلى أن أفضـل أوقات الفطـام يكون في أوان الاعتـدال (الربيعي والخريفي) ويرى أن الاعتدال الخريفي أنسب لأن مـا بعـد الخريـف يكون بردُ الشتـاء الـذي لا يؤذي الفطيم مثـل مـا بعـد الربيـع من حر شديد .

---

(١) تحفة المودود في إحكام المولود ، فصل الفطام .

٤ ـ ويتدرب الفطيم خلال الانتهاء من الرضاع على استعمال يديه في جلب الطعام إلى الفم كما يتدرب على استعمال أدوات الطعام (من ملعقة وخلافها) .

٥ ـ وتستطيع الأم بدورها أن تستريح من عناء الرضاع وتتخفف وتلتفت إلى أعمالها الأخرى وواجباتها المنزلية .

٦ ـ ولا بد أن نشير ونؤكد : أن على الأم أن تلاحظ اعتدال وليدها في تناول الطعام والشراب فلا يسرف ولا يقتّر في كمية ما يتناوله منهما ، ويتحقق ذلك بتعويد الفطيم على ضبط نفسه ، فذلك أدعى إلى حسن الهضم وتنظيم وظائف النوم واليقظة والحركة السليمة .

٧ ـ أما أخذ الرضيع بالتدريج سعياً وراء الفطام فيكون واجباً عسيراً على الأم ، ولكن لا بد منه ، ونقترح على الأم أن تبدأ بعد الشهر الخامس من عمر وليدها بهرس بعض الخضروات والفواكه ، بتقديمها بشكل سائل وبقدر ضعيف مع المهلبية ، فإذا انقضت السنة الأولى أمكنها أن تقدم له نوعاً من الأطعمة

المعتدلة في سُمكها ، وهكذا بالتدريج حتى يتناول الأطعمة الجامدة .

٨ ـ ولا بد أن نشير هنا إلى أن المفضل دوماً أن يعوّد الصغير على أن يتناول طعامه بيده ، ففي هذه العادة يتحقق التآزر أو التكامل بين أصابع تتحرك ، وفم يستقبل ، وأسنان تمارس المضغ وبلعوم يستعد للنشاط ، وقد تظهر هنا بعض المتاعب الناجمة عن إمكان ضبط الطفل هذه الحركات ، وتعرض وجهه الصغير وثيابه إلى ما يفسد النظافة .. ولكن المربين يرون أن على الأم أن تتسامح بهذه الناحية نظراً إلى المكاسب الطيبة التي تتحقق للصغير حين يُطعم نفسه بنفسه .

٩ ـ وفي حال امتناع الطفل عن تناول بعض الأطعمة ينبغي على الأم ألا تلجأ إلى الضغط على وليدها ، والأفضل من ذلك أن تلجأ إلى الأسلوب الجمعي فيتناول ابنها طعامه مع أطفال آخرين من الأقرباء وما إليهم ، تروي المربية الكبيرة (سوزان إيزكس)[1] حادثة طريفة في الموضوع ، تقول شكت

(١) في كتابها (حضانة الأطفال) .

أم الطفل (س) من أن ابنها لا يتنـاول مـادة الجزر الضروريـة للصغار ، وجاءت بطفلها إلى حيث يلتقي مع أترابٍ له في سنـه بالروضة ، ولما شـاهـدت الطعـام المقـدم إلى صغيرهـا من خلف الشبـك ، ورأت الجـزر قـالت للمشرفـة إن ولـدي لا يمكن أن يتناول شورباء الجزر ألبتة ، فأجابتها هـذه (لا عليـك وانظري بنفسـك) وإذا بـالأطفـال يقبلون على تنـاول الجزر ومن بينهم طفلهـا الـذي أخـذ يلتهمـه ، ولم تصـدق الأم مـا تراه ، ولكنهـا اقتنعت أن الغذاء الجماعي المشترك يفعل فعله الممتاز .

بعد الفطام ضعف الشهية

هناك أطفال يلاحظ عندهم بشكل واضح ضعف شهيتهم إلى الطعام ، ويبدون وكأن الغذاء لا يناديهم ، فهم يتمنعون عن الأكل في حينه ، لكن الإلحاح على الطفل كي يتناول الطعام بالقوة يؤدي إلى تعقيد الأمور ، والأفضل من هذا أن تلجأ الأم إلى التفتيش كي تعثر على السبب أو الأسباب ، فلعلك - أيتها الأم - تتبعين نظاماً متشدداً في اللهجة والأسلوب ، أو في التقيد بنظام الأكل ومواقيته ، ولعل هناك سبباً جسمياً يستدعي حضور الطبيب وأخذ مشورته مثل التحسس والشعور بالرشوح المستمر في الفم والأنف ، أو التهاب اللوزتين المزمن ، أو اضطراب الجهاز الهضمي كالإمساك ، أو ظهور الأسنان ، أو التهاب الأمعاء .. إلخ .

ولعل هناك أسباباً من نوع آخر مثل انعدام اللعب والقلق النفسي والريبة بحنان أبويه ، أو تدليلهما المفرط ، أو تعرضه لتنافس إخوته ، أو وجود الشجار والنقار ، أو الجو الصاخب

الناتج عن ضجيج التلفزيون أو الإذاعة ، أو الذعر الذي تُسببه بعض البرامج المفزعة ... وما إلى ذلك . وإذا أهملت الأسرة وليدها ولم تُعْن بإعطائه راتباً غذائياً كافياً فإن هذا سيؤدي إلى أمراض خطيرة بمرور الوقت كالكساح والهزال وضعف المقاومة وفقر الدم ، ولهذا ينبغي أن تُلمّ الأم بما يجب أن يُقدم إلى الصغار من مواد غذائية ضرورية لسلامة الجسم وضمان العافية من البروتينات والسكريات والدهنيات والمعدنيات .. من غير تقصير أو توانٍ ، ومعرفة أين تتوفر هذه المواد ، وما هي مقاديرها ، وهناك ظاهرة كثيرة الشيوع عند الصغار ، فالواحد منهم يعتاد أن يضع أصابعه في فمه ، فيخفف بالمص إحساسُه بالجوع ، وتقوده هذه العادة إلى أن يحاول تناول ما يعثر عليه من الموالح وقطع السكر ، بل والتراب والأخشاب أحياناً أو الحشائش ..

وطبعاً فإن من الواجب مقاومة هذه العادة واتباع عادات أخرى قوامها منعه عن تناول أي شيء بين الوجبات .. وقد تحتاج الأم إلى معونة الطبيب من أجل ذلك .

وقد تحتار الأم فيما ينبغي أن تفعله ، وقد يفيدها كثيراً أن تعلم الأمور الآتية :

● أول ما نقول لهذه الأم أن المشكلة لم تتكوّن في يوم وليلة ، ولهذا ينبغي عليها ألا تتوقع أن يصلح كل شيء في برهة قصيرة .

● وقد تكون الأم ذاتها قد اعتادت حالياً أو منذ مدة طويلة على إهمال قضية الغذاء أو تكون شهيتها ضعيفة إلى الطعام .

● ويجب ألا يُجن جنون الأم إذا رأت طفلها يعند ولا يتراجع فيستثير حفيظتها ، وعليها بدلاً من هذا أن تضع برنامجاً ثابتاً يستهدف تصحيح العادات المتعلقة بالتغذية ، ولتسعَ أن تُنفذ هذا البرنامج باتباع الطريقة المثلى مثل جعل الصغير يتناول طعامه مع أطفال آخرين .

● ويجب أن تتأكد الأم أن طفلها يلعب ويعدو ويمرح ويضحك مثل كل الأطفال وتستفيد من تعرضه إلى الجوع ، فتقدم له ما لاحظت أنه غذاء جيد ووافٍ وينال رغبة الطفل .

● وإذا وضعت الأم خلال الوجبة منبهاً يُشعرها بانقضاء (٢٠) دقيقة أو (٣٠) دقيقة ، وتكون قد أفهمت طفلها أن قرع الجرس يعني رفع الطعام مهما يكون القدر الذي تناوله ، ولا داعي لأن تضطرب الأم إذا وجدت أن ما تناوله طفلها ـ في التجارب الأولى ـ غير كاف ، لكن الصغير الذي يتأكد ألاّ طعام إلا حين يأتي توقيت الوجبة القادمة ، فإنه سيشعر بالجوع ، وسيلتهم وجبته .

● يجب ألا ننسى أسلوب التغذية الجماعية الذي أشرنا إليه في إيضاح الفطام .

● أما الطفل الوحيد (أو الصبي بين أخوات بنات ، أو البنت بين إخوة صبيان ، أو الأول الذي طال وجوده في البيت وحيداً قبل ولادة إخوته ، أو الأخير الذي يفرض نفسه على والديه) كل هؤلاء الأطفال يُتوقع لديهم بشكل واضح احتمالات التمنع وظهور الصعوبات عندهم .

● وشيء آخر نقوله : احذري أيتها الأم أن تشعري الصغير

أن قضية غـذائـه تقلقـك ، وامتنعي كليـاً عن التحـدث في هـذا المـوضـوع مـع الآخرين (أيـاً كانـوا) وبحضـور الصغير بـوجـهٍ خاص .

● وعلى الأم أن تـذكر جيـداً أن اتبـاع طرق المرح والمزاح والمرونة في التشجيع إضـافـة إلى القيـام بنزهـات للطفل من فترة لأخرى ، والتعرض إلى الهـواء النقي والشمس المشرقـة ، وابتكار قصص عن العصفور الذي لا يـأكل ومـا يجري لـه ، والقطـة التي تنمو وتكبر لأنها تتغذى .. وكل الصغـار الـذين كبروا بسبب أنهم يأكلون .

● وفي العادة فإن اتباع العادات الحسنـة خلال أيـام قليلـة كافيـة لإحـداث النتـائج المرجـوة ، وإذا لم تلـقَ الأم نتيجـة إيجابية ، فإن عليها أن تلجـأ إلى الاستعـانـة بـالطبيب أو خبراء التغذية .

الفصل السادس

تحديات اللغة والثقة والتربية
النمو النفسي والاجتماعي

النمو النفسي للمولود بعد الفطام

تمهيد

تحديات ومواجهة[١]

إننا من أجل أن ندرك خصائص النمو النفسي للطفل في مرحلة المهد ، مطالبون بأن نفهم طبيعة المواجهة التي تقوم بينه وبين الكبار (الذين يقومون على رعايته) ، وهي مواجهة تؤدي إلى وقوع تعارض بين ما يحتاج إليه من جهة ، والتوقعات الثقافية الاجتماعية التي يعيش فيها من جهة أخرى ، وتتمثل هذه التوقعات فيما نسميه مقتضيات النمو .

مقتضيات النمو[٢] : يجب أن تتحقق لدى طفل المهد وخلال السنتين الأوليين من حياته مطالب تعد ضرورية

(١) سيكولوجية الأمومة ومسؤولية الحمل ص١٧٠ ، نقلاً عن الدراسة الوثائقية Paris MaTCH الواردة سابقاً ص٣٢ .

(٢) الطفل مرآة المجتمع ، د. م إسماعيل ص٢٥ .

لتوكيد سلامة تكوينه وسوائه النفسي أهمها :

١ ـ البدء بالفطام من الرضاعة وتعود تناول طعام جاف .
٢ ـ تعلم الكلام .
٣ ـ تعلم الزحف ثم المشي .
٤ ـ اكتساب التعلق الاجتماعي بالوالدين والإخوة وكل الآخرين بوجهٍ عام .
٥ ـ اكتساب مفهوم دوام الأشياء ، (فالأشياء تبقى موجودة ولو غابت عن أنظاره) .

أما ما يشعر به الطفل فهو حاجته إلى إشباع المطالب الأساسية من : الراحة ، البعد عن الألم ، وحاجته إلى التنبه والاستثارة وممارسة النشاط ، والتعلق العاطفي (فيُحب ويُحَب) وحاجته إلى الاستقرار والثبات في المعاملة ، هذا إلى جانب حاجته البيولوجية من تغذية وإخراج ونوم ... بشكل متوازن .

والسؤال الذي يفرض هنا أين يقوم التحدي ؟.. إنه يقوم بين مطالب الطفل ومقتضيات البيئة أو (حاجات الطفل ومواقف الآباء) .

التحدي الأول

النمو اللغوي للوليد

نود أن نعالج هذا البحث من خلال الأمور الآتية :

أولاً : يتوقع الناس أن الوليد يقلدنا نحن الكبار حين يكتسب اللغة ، والحقيقة غير ذلك ، إننا نحن الذين نقلده !! وبيان ذلك سهل فنحن حين نثبّت ألفاظه هو أو أصواته التي تصدر عنه نجعله ينتبه إلينا ، وتثبيتنا هذا يقوم على تكرار ما يلفظ به ، فيسمع ما نقوله نحن ويشاهد سرورنا ، وإذا به يكرر ليسرَّ نفسه بعمل ما ألفه يسرنا ، ويتم الأمر على الشكل الآتي وبالخطوات القادمة :

١ ـ تبدأ الألفاظ عند الوليد بصورة صيحات فرح أو ألم أو طلباً للثدي ، فيخرج الأصوات من خلال امتصاص اللبن (قبله أو بعده) والفرح برؤية أمه ترضعه .

٢ ـ يصوّت ممْ .. ممّ ممّ ... ممّا ، ممّا ، ثم تتحول هذه المقاطع الصوتية فتتحول إلى (ماما)[١] ، وهكذا يصرخ الوليد أولاً صراخاً فموياً لا معنى له ، وهو أقرب إلى الانفعال والهيجان ، ومن الصرخات تتضح مقاطع صوتية ، وتتحول المقاطع الصوتية (عندما تقترن بالعاطفة والمعنى) فتصبح كلمات مثل ماما ، بابا ، دادا ، ني ني ، آطّا .

٣ ـ وتكتسب صفة الدلالة أو النداء للأم والأب والأخ والغذاء ، والقطة .

وبذلك نرى الوليد يصوّت فيقلد نفسه بعد أن قلّدناه ، ثم نتعاون وإياه على صنع الكلمات .

وهكذا نلخص تاريخ تكون الكلمات عند الوليد بالمناغاة وتنتهي بالكلمات المعبرة عن الأشخاص ثم الأشياء في الْجُمل .

ثانياً : ثم تتجمع ألفاظ الوليد وتكثر وتتنوع متخذة أشكالاً لفظية موسيقية (كوكو للطيور) (عو للكلب) .

(١) لوحظ أن جميع لغات العالم تسمي (الأم) بتسمية فيها حرف (م) .

ثالثاً : وتكتسب كل كلمة مضموناً اجتماعياً ونفسياً بآن واحد ، فتصبح كلمة (ماما) ذات وظائف مختلفة ، وتبعاً للموقف أو المناسبة التي يتلفظ بها :

فتارة تصبح (ماما) تعالي لعندي (مصحوبة بحركة معينة) .

وتارة تصبح (ماما) تعني أنا جائع (مصحوبة بحركة ولهجة أخرى) .

وتارة ثالثة احمليني يا (ماما) (حين يمد يديه ويتلفظ طالباً أن يحمل) .

وبوسعنا أن نشاهد عند الوليد وفي هذه المرحلة أن أي كلمة أتقنها ذات معنى عام ويتخصص في كل موقف على حدة .

فنصل إلى ما يسمونه (الكلمة ـ الجملة) فحين يقول (بابا) لا يقصد فقط أباه بل يقصد معاني عدة :

بابا : أنا أحبك .

بابا : خذني معك .

بابا : لاعبني .

رابعاً : وفي مرحلة أخرى تنضم الكلمات إلى بعضها فيتألف منها ما يسمونه (شبه الجملة) ؛ وهي جملة ناقصة تنقص منها الأفعال أحياناً والحروف .. فإذا قال الطفل (دادا نيني آطّا) فهو يقصد ضمناً تعال يا أخي وأطعِم القطة ..

خامساً : ثم يصل الطفل إلى الجملة الصريحة (ماما بدي ني ني أنا جوعان) ويلاحظ أن استعماله كلمة (أنا) يتم في سن متأخرة ، وبحسب ذكاء الوليد وجنسه (ذكر أو أنثى) تتسارع المراحل .

فمن المعروف أن الطفل الذكي يسبق الطفل العادي المتوسط في اكتساب الألفاظ والطفل المحدود الذكاء ، أما من حيث الجنس فقد لاحظ معظم علماء النفس أن البنت تسبق الصبي في نواحٍ كثيرة تتعلق باللغة من حيث اكتشاف الألفاظ ، واستعمالها ، وإغناؤها واللعب بها .

فيتكون عند البنت في سن مبكرة قاموس (لا مجال للإحاطة في بيان تطوره) ولكنه أغنى من قاموس الصبي في العمر ذاته .

كما لوحظ أن أطفال الأسر الميسورة يكتسبون اللغة بشكل أسرع من غيرهم في أوائل العمر ، بسبب غنى العلاقات الاجتماعية ووفرة الأشياء في منزلهم ، ثم يعوض الآخرون ما فاتهم إذا كانوا فعالين ونشيطين ، ويؤثر اللعب والانشراح تأثيراً بالغاً في سرعة اكتساب الكلمات واستعمالها واللعب فيها وبواسطتها ، ولوحظ أن ترتيب الطفل بوصفه الأول أو الثاني أو الأخير يلعب دوراً في ذلك ، فالطفل الأول يتعلم اللغة من الكبار ، والثاني والثالث من إخوته الصغار ، كما تلعب الصحة الجسدية والنشاط الفيسيولوجي دوراً بالغاً في هذا الموضوع .

ويجب أن نذكر من جديد أن الألفاظ اللغوية الأولى التي طرقت أذني المولود منذ أول ولادته قد بدأت ، وتبدأ في حضارتنا (بالأذان) النداء الأبدي الذي يسمو بالحياة والإنسان والتاريخ ، ويعطي الوجود معناه الراسخ .

التحدي الثاني

الثقة

وهي ليست أساساً أولياً للتربية فقط وإنما هي شرط أساسي لكل تعامل بشري ، (في الأسرة والمدرسة والنادي والمعمل والدولة) ، ويستطيع الصغار منذ نشأتهم الأولى بعد الولادة أن يعرفوا ويدركوا بطريق مباشرة أن ذويهم حكماء ويعتمد عليهم بجدارة ، أو أنهم ليسوا كذلك ولا يوثق بهم .

وفيما بين هذين الطرفين النموذجين توجد بالطبع درجات متفاوتة .

● فإذا استطاع ذوو الطفل أن يتعرفوا على حاجاته ، وأن يستجيبوا لها بطريقة سديدة ومناسبة ، فإنه سوف يكتسب الثقة بهم ، ويشعر بأنه كائن معزَّز ومكرَّم ، وأن حاجاته سوف تُشبع ، وأن الذين من حوله سوف يهرعون إليه

حين الطلب ، وبالطبع فإن الطفل لا يقول هذا الكلام ، ولكننا نستطيع أن نستشعره من سلوكه ، (من إشراق الوجه والدفء والمرح اللذين يظهران عليه) ، (ومن تنامي قدراته على تحمّل تأخر مطالبه أو تأجيلها) .

إن إحساس الطفل بالثقة ليس في الواقع إلا قناعة انفعالية تساعده على الشعور بالتوحد مع البيئة المحيطة به .

● أما إذا عجز القائمون على رعاية الطفل عن التعرف على حاجاته ، ولم يسعوا (جهلاً بها أو تجاهلاً) إلى الاستجابة بالطريقة المناسبة ، فكانوا مثلاً يتّسمون بالخشونة أو الشدّة في تعاملهم مع حاجاته ، أو كانوا لا يبالون به ولا بالتوتّر الظّاهر عليه بسبب مواقف معينة ، فإن بذور الشك في البيئة المحيطة به يمكن أن تغرس في نفسية الطفل . والواقع أن كثيراً من الآباء يرتكبون الكثير من الأخطاء في معالجة توترات أطفالهم ، وخاصة عندما يكونون في الأسابيع الأولى من حياتهم .

« يبكي الطفل ، ومن غير إدراك تُلقمه أمه الثدي ، أو

تأخذ في أرجحته أو هدهدته .. في حين أنه قد يكون منزعجاً من الأصوات المنكرة من حوله ، أو قد يكون محتاجاً إلى النوم ، أو الراحة ، أو دفع الألم ، أو اللعب ، وقد يكون محتاجاً إلى لفت أنظار الكبار .

وهكذا تنزرع في نفسه البذور السيئة القائمة على العشوائية وانعدام الفهم ، فتبدأ ثقته بمن حوله تتزعزع أو تنعدم ؛ فيعزف عن التفاهم مع الآخرين ، وقد تبدأ لديه استعدادات إلى الاكتئاب والانكماش مع فقدان الشهية للطعام ، أو الامتناع عن اللعب ، والابتهاج بوجود الآخرين ، وقد تظهر مواقف المجابهة وفرض الذات مع فهم متزايد للطعام أو تخريب لأشياء المنزل ومحتوياته ، وقد تؤول إلى المواقف العدوانية واتجاهات التدمير .

ومن هذا كله ندرك أهمية تكوين الثقة عند الطفل وضرورة أخذه بأسلوب التفاهم وحسن التكيف ، والارتقاء به إلى قمة التفاعل البنّاء ، وهكذا فإنّ الجو الذي تشيع فيه الثقة بين الطفل وأفراد أسرته سوف ينشّط ويحفز الجهود التي يبذلها الطفل لكي ينجز واجبات النمو في مرحلة المهد وما بعدها ، إنه

بمثابة الأرض الصلبة التي لا بد أن يقف الطفل عليها ، إذا كان له أن ينجح في تحقيق المستويات النمائية المتوقعة منه .

وبتعبير آخر نقول : إن المواجهة التي تتم بين الطفل وبيئته إما أن تنتهي محصلتُها في صالح الطفل ، أو تُحسم في غير صالحه .

ففي الحالة الأولى : تتنامى لديه ثقة تزداد صلابةً بنفسه وبمن حوله وتساعده على الارتقاء إلى المستويات المتوقعة .
وفي الحالة الثانية : تتراجع ثقته بنفسه وبمن حوله ، فيتعطل نموه الإيجابي ، ويتنبّه وعيه ساعياً نحو اكتساب آليات تعويضية قوامها لفت الانتباه والأذى والانتقام وفرض الذات على الآخرين .

وهاتان الحالتان حدّيتان ونموذجيتان ، وبينهما تقع آلافُ الحالات التي يستحيل تحديدها ، وتكون فيها الثقة المتكونة عند الطفل نسبية ، وفيها مزيج من الإيجابيات والسلبيات التي تعبر عن نفسها بالمشاعر الذاتية للصغير وتتجلى في سلوكه المتكيف .

ونرى من الضروري هنا أن نشير إلى أن الثقة بمضمونها الواسع لا تتوقف عند حد معين ، وبتعبير آخر لا تقتصر على ثقة الطفل بذويه ، بل تمتد لتتناول ثقته بنفسه ، (أي بقدارته وكفاياته ، ومن ثم بمكانته وشخصيته) ، ولهذا فإن الآباء[1] إذ يحققون ثقة الطفل بهم ، إنما يعملون على تنمية شعور الصغير بأنه يملك التأثير في دوائر أوسع فأوسع ، وهكذا يتم تصاعد الثقة في حركة هرمية متنامية .

ويتطلب هذا التصاعد توفر الإشباع المتلاحق (درجة بعد درجة) ، وهذا يعني أن ثقة الطفل بذاته ترتكز إلى توفر ثقته بذويه وإشباعها ، وحين يثق الطفل بذويه وبنفسه (أي يحقق الإشباع في مجالي الأسرة والذات) يبدأ يتطلع ويمد مدركاته ، فيتناول الثقة بأترابه ورفاقه ، ثم يتابع التطلع فيمد مدركاته ليتناول ما (هنالك خارج المنزل والحي) ، فينطلق في البساتين

---

(١) عندما يحسنون تربيته ويرعون حق الله فيه حق الرعاية ، وبالمناسبة فقد ورد في الأثر « إن الرجل يسأل يوم القيامة عما فعله بولده ، قبل أن يسأل الولد عما فعله بأبويه » ، قال تعالى : ﴿ إليهِ يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ [فاطر : ٣٥/١٠] .

والشواطئ ليتعرف على محتويات البيئة الطبيعية ، وهناك الحديقة خلف البيت وهناك الأشجار والأطيار ... والفراشات والأزهار ، والنجوم والجبال ، هناك المساء الجميل والصباح النضير ... هناك المياه العذبة والغابات الساحرة ... والبحر اللانهائي ...

وحالما يتوفر للطفل الإشباع والامتلاء بالبيئة الطبيعية ، ويتفق أن يكون لهذا الكائن (الذي أخذ يكبر وينمو) فيكون له (بصيرة وحسن نظر) ، فإنه يرنو ببصره إلى ما وراء الظواهر ، ويمضي يفتش ، ويبحث في نظام الكون واتساق ما فيه ، فيكتشف فيه الجمال والدقة والبهاء ، فيشيع الرضا في نفسه ويعقد الصحبة تلو الصحبة مع أشياء الكون الكبير من حوله ، وإذا أمكنه أن يتلو ما أوحى الله به على رسله الكرام ، وإذا أدركته عناية الله تعالى وعرف أن قوى الكون وطاقاته مسخّرة بأمر الله من أجل خلقه أياً كانوا ؛ فقد كرّمهم الله بوصفهم بني آدم ورزقهم من الطيبات ، وفضّلهم على الكثير من خلقه .

ثم إذا عرف أن ظواهر الكون تنتظم كلها في كل موحَّد ، ونَسَق لا يختلف[١] ، وأنه موضوع بين أيدي الناس لأمور كثيرة وأغراض غير محدودة ، ومن جملتها :

- الانتفاع بالأشياء والحوادث وملاحظتها لاستخلاص ما فيها ، فيتعرف إلى عالم الخير .
- ثم يشهد جمال الكون الأخّاذ في بهائه تحار فيه المشاعر والألباب ، فيكتشف عالم الجمال ويتذوّق حلاوته .
- ثم يدرك أن هذا الكون موضع نظر يحرّك العقل ويحرّق الشوق والتوق ، ليتعرف إلى عالم الحق يتحراه ويجرد عقله له .

ثم يكون له من كل ذلك إيمان يزداد وثوقاً بعون الله وهدى لا يضطرب ولا يتزعزع ، لمعرفة الله ومحبته والتماس رضاه ورحمته

وهكذا يمضي الفتى وينتقل من إشباع إلى إشباع ، ومن رضا إلى رضا ، فيتمكن من الدنو من عالم الحق بادئاً بمعرفة

(١) ﴿ ما ترى في خلق الرحمن من تفاوتٍ ﴾ [الملك : ٣/٦٧] .

الخلق ، وتتكامل عنده الثقة ، وتكتمل أو تتكامل عنده الصورة :

ثقة بالوالدين ثم ثقة بالذات
وثقة بالأتراب ثم ثقة بالكون وما وراءه
تؤكد ثقةً بالله (خالق السماء والأرض) (البشر والسماء)

التحدي الثالث

في تربية الوليد

وننتقل من تحدي اللغة والثقة إلى تحدي الانضباط أو التربية .

سنعالج موضوع التربية بإثارة الأسئلة الهامة الآتية :

ما معنى تربية الوليد ؟ كيف نتدخل في تربيته ؟ متى ؟ ومَن ؟.

معنى تربية الوليد

كثيراً ما يبدو أن كلمة التربية تمثل ثوباً فضفاضاً أوسع مما ينبغي بالنسبة للوليد ، وفيها مبالغة ، وهذه نظرة سريعة ، ويجب تحديدها .

الحق أن التربية تبدأ منذ تخلق الجنين فلا مبالغة في استعمال هذا المفهوم عند الوليد ، وعلى أي حال نقول من أجل تحديده

مفهوم التربية هنا : « إن التربية هنا تعتمد على تقديم الإطار الضروري من الحنو والعون للوليد كي يتمكن من اكتساب طرق تفتح الوعي من أجل بناء إرادته الحرة ، والتوجُه صوب ما هو مقبول وما ليس بمقبول » ، ولا يشترط في تربية الوليد التفكير في العقاب .

والشيء الضروري الذي ينبغي أن تفهمه كل أم أن الأطفال والمواليد يسرون بالانضباط إذا صدر عن أبوين حميين ودودين .

إن كل الأطفال ـ بما فيهم المواليد ـ يولعون بالألعاب التي فيها قواعد ، ويظلون كذلك إلا إذا أفسده الأبوان ، أو طغت عليه شقاوة المراهقة ، وهكذا نجد الأطفال ينبهون بعضهم فتسمع أحدهم يقول لآخر (لا تغلط ما هكذا يكون اللعب) ، وشيء آخر وهو أن الآباء الذين يعلمون أولادهم قواعد السلوك الاجتماعي يكتسبونهم كسباً حقيقياً ، ويجعلونهم يكسبون أنفسهم كما يكسبهم المجتمع أفراداً أسوياء ، منتجين وفعالين ومقبولين .

وإن قضية الثقة التي أوليناها اهتمامنا تتوضح هنا ، وتظهر

ظهوراً مؤكداً ، فالأطفال يقبلون ضوابط أبويهم المحبوبين وتعليماتهم ، ولا يجدون عسراً في قبولها وإن كانت شاقة ، في حين أن الآباء الذين لم يفلحوا في كسب ثقة أولادهم تجدهم موضع معاكسة مع أولادهم وعدم تفاهم .

على أن التربية الصحيحة (التي قال بها علماؤنا الأقدمون ـ ويقول بها علماء النفس المعاصرون) تقوم على أن يتقن الصغار التعامل مع نوازعهم وضبطها ذاتياً ، (أي من تلقاء أنفسهم) لا لأن الآخرين يُسرون بهذا الانضباط مهما يكن الآخرون ، أما إعطاء الجوائز والمنح فإنه يدعم مقتضيات التربية ، ولكن يجب أن يُستعمل بقدر وليس في كل مرة . وقد يجعل الأخلاق التي يكسبها الصغير مشبوهة وغير متزنة ، بل ومادية بشكل مؤكد ، وهكذا نقول : إن المهم أن يتمكن الطفل من ضبط نفسه ودوافعه إلى الانفلات من الصدق والصراحة وحب الخير ، ومن القيام بواجباته بكامل حريته ، وكلنا يعلم أن الحرية كثيراً ما يُساء فهمها ، ولذلك نؤكد على فكرة « أن الحرية لا تقوم بلا ضوابط وقيود » .

وعلى الأبوين أن يظلا يقظين لمشاهدة مدى ضبط الصغار أنفسهم بأنفسهم ، والالتزام بالقواعد ، وفي حال عدم التقيد بالقواعد يجب على الأبوين ملاحظة الأمور وتنبيه الخارجين عنها ، ويجب أن يبدأ التنبيه بالحسنى مع الحزم ، ولا مانع من أن يبينا لمن يخطئ أنه لم يعد متزناً ، إن الآباء الحميين المدركين لا يجعلون صغارهم يحتاجون إلى ما هو أكثر من تنبيه حازم حتى تنصلح الأمور .

وهناك ظن خاطئ مفاده أن ضبط الصغار قد يؤدي إلى إحباطهم وحجز حريتهم . وقد يصدق هذا الظن عند الآباء غير الملتزمين بالأخلاق أو غير المحبوبين ، أما المتميزون بالصدق والدين ، فإنهم يعالجون هذه القضية بنجاح لا مثيل له ، (فترى الطفل يضبط نفسه ، فيصوم من ذات نفسه ، وقد يبدي انزعاجه لأن أهله لم يوقظوه وقت السحور) وهو ما يزال طفلاً وهو غير ملزَم أو مكلف ، هذا جواب السؤال عن كيف نربي أو نضبط صغارنا .

أما السؤال عن (متى نضبطهم ؟) فجوابه (حين يشرع

الطفل بالتحرك والتنقل في أرجاء البيت ، ويتعامل ندّاً مع إخوته والآخرين) ، وإذا أظهر طفل أنانية واضحة ، فإن هذا يجب ألا يثير ضحكنا استهجاننا ؛ لأن الصغير يود أن يستولي على ما يملكه إخوته ، فهذا أيضاً هو الوقت الذي نبدأ فيه بالتربية .

ـ وحين يقوم الصغير بتصرفٍ غير مقبول كأن يسكب كوب اللبن الأبيض ، فتغتاظ منه أمه إذ تشرع بتنظيف المكان ، فهذا موقف خاطئ ولا يساويه في الخطأ إلا الضحك وإظهار السرور ، (لأن الصغير يبدأ يؤذي لأنه صغير) ، والرأي الصحيح أن تعلم الأم أن الصغير لا يرغب بإزعاج أمه أولاً ، ولكنه يقوم بعمل سار حين يدرك أن اللبن الأبيض مازج الأرض الخضراء وانسكب عليها ، وأياً كان الأمر فعلى الأم أن تُفهم وليدها ـ وهو جالس على المقعد العالي للأطفال ـ أن هذا لا يصح وبكل حزم فتقول له (لا) ، ولا تكتفي بـ (لا) ولا تكثر من (اللاءات) وهي سلبية كلها ، بل تعمد إلى بيان كيف يمسك بكوب اللبن ، وإذا كان الصغير لا يقدر على ذلك فيكون طلبها من الصغير مبكراً ، أو غير مبني على أسس صحيحة .

ـ وهذا يؤدي بنا إلى أمر هام وهو إبعاد الأشياء المؤذية أو بالغة الضرر عن متناول الصغار ، فـ (فيش الكهرباء) يجب أن يُسد إذا كان بوسع الصغار الوصول إليه بأصابعهم ، وإذا كان مستوى الدرابزون منخفضاً فيجب أن يُرفع لأن السلوك الجيد هنا لا يعلَّم تعليماً ، وطرق التخويف ليست طرقاً منطقية ولا كافية .

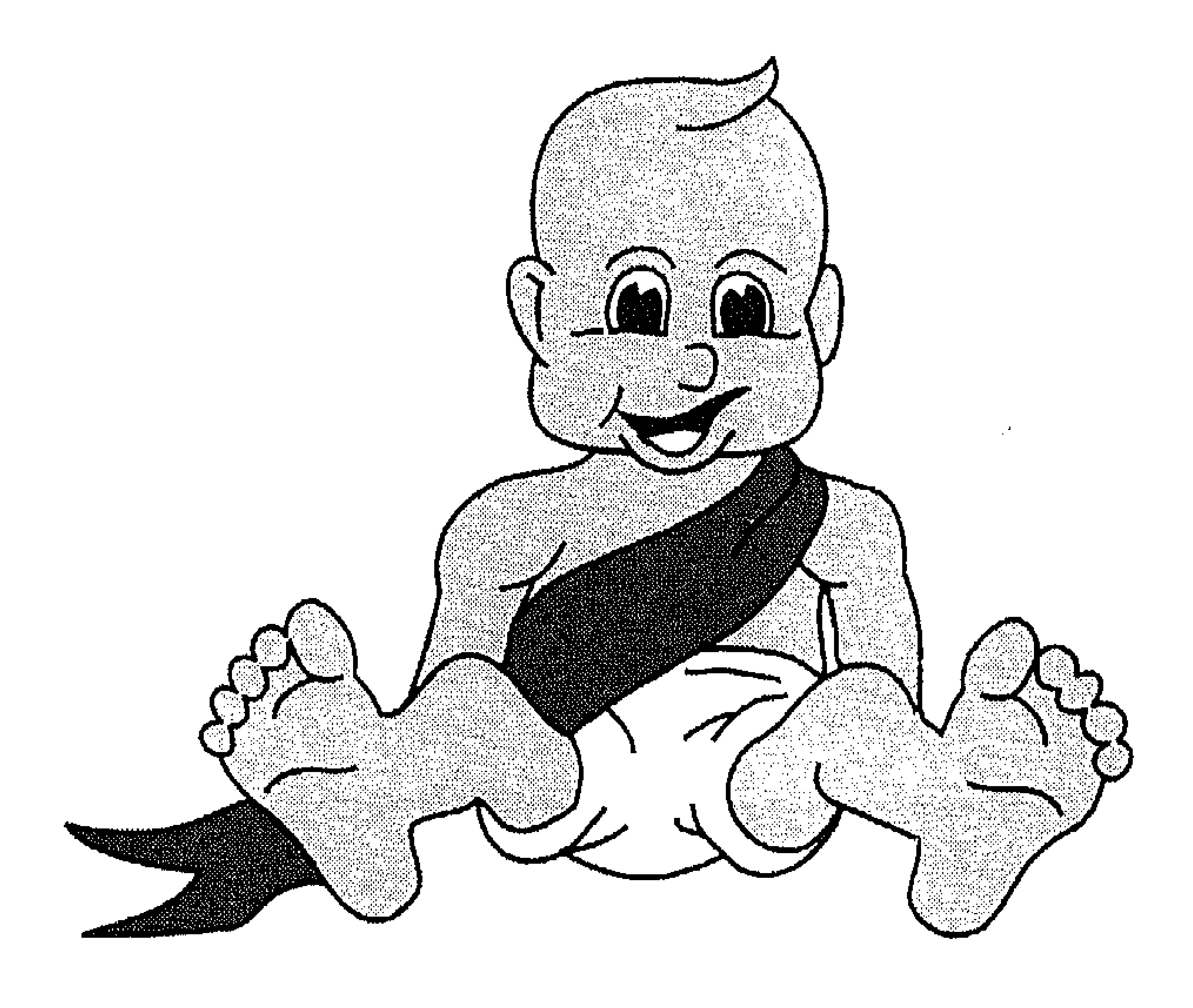
ـ وإذا تعلم الأطفال المشي وصاروا يصلون إلى المطبخ ، فلعلهم (في غياب أمهم) يبتهجون لرؤية البخار يتصاعد من الإناء أو إبريق الشاي ، وقد يقربون المقعد الخفيف ليصعدوا عليه ، ويشبعوا فضولهم إلى التعامل مع هذا الماء الذي يغلي !.. وكم من طفل أو طفلة تشوه وجهها ، وقاما بأمر يألم له الأبوان وتلوم الأم نفسها ، لأن حظها سيء كما تدعي ، أو أن طفلتها شيطانة لا يُستطاع ضبطها .

يقدر علماء الإحصاء أن وفيات الأطفال في أمريكا ترجح وتزيد على الوفيات الناجمة عن عشرة أمراض تصيب الصغار ، كالتيفوئيد والسل والملاريا ..

الفصل السابع

الوليد في تراثنا الجميل

العقيقة - الختان - الأسماء



من أجل أن تكتمل دراستنا في المواليد ، لا بد أن نطلع على نـواح دخلت في تراثنـا العظيم أهمهـا العقيقـة والختـان وتسميــة المــــــــــواليــــــــــد .

العقيقة

وهي من الذبائح التي كانت الجاهلية تفعلهـا مثل العتيرة[١] والفَرَع[٢] .

روى عمر بن شعيب عن أبيه عن جـده أن رسول الله ﷺ سئل عن العقيقة فقال : « لا أحب العقيقة » .

قـالوا : لأنهـا من فعل أهـل الكتـاب ، كما قـال النبي ﷺ « إن اليهود تعق عن الغلام ولا تعق عن الجارية » .

(١) العتيرة : شاة كان الجاهليون يذبحونها لآلهتهم .

(٢) الفَرَع : أول ولد تنجبه الناقة أو الشاة ، كانوا يذبحونه لآلهتهم .

وقد روى الإمام أحمد من حديث أبي رافع رضي الله عنه : أن الحسن بن علي ، أرادت أمه فاطمة أن تعق عنه بكبشين فقال رسول الله ﷺ « لا تعقي ، ولكن احلقي رأسه ، فتصدقي بوزنه من الورِق (الفضة) » . ثم ولدت الحسين فصنعت مثل ذلك .

ويرى ابن قيم الجوزية[١] أن قول النبي عليه الصلاة والسلام « لا أحب العقيقة » يقصد به التنبيه على كراهة الاسم (المرتبط بالعقوق) ، ويقول : كان النبي ﷺ شديد الكراهية لكل ما يسمى باسم قبيح ، حتى إنّه كان يغيّر الاسم القبيح بالحسن ، ويترك النزول في الأرض قبيحة الاسم ، والمرور بين جبلين قبيح اسمها ، وكان يحب الاسم الحسن والفأل الحسن ، قال : « دعا النبي ﷺ يوماً بناقة ، فقال من يحلبها ؟.. فقام رجل فقال : ما اسمك ؟ قال : (مرّة) ، قال اقعد ، فقام آخر فقال : ما اسمك ؟ قال : (جمرة) ، قال : اقعد ، ثم قام رجل فقال : ما اسمك ؟ قال : (يعيش) ، قال : احلبها » .

---

(١) تحفة المودود في أحكام المولود ص ٣٥ .

قال أبو عمرو : هذا من باب الفأل الحسن لا من باب الطيرة ، وعندي (والكلام لابن القيم)[١] فيه وجه آخر ، وهو أن بين الاسم والمسمى علاقة ورابطة تناسب ، فالألفاظ قوالب للمعاني والإسماء قوالب للمسميات . قال الشاعر :

وَقَلَّ إنْ أبصَرَتْ عينـاك ذا لقبٍ   إلا ومعناه إنْ فَكَّرْتَ في اللّقَبِ

فقبح الاسم عنوان قبح المسمى ، كما أن قبح الوجه عنوان قبح الباطن ، وقد كان رسول الله ﷺ يغيّر أسماء من حوله إذا كانت مستهجنة ، فغيّر اسم (عاصية بجميلة) ، واسم (أصرم بزرعة) .

وغيّر أسماء (العاص ، وعزير ، وغفلة ، وشيطان ، والحكم ، وغراب ، وشهاب) فسمى بعضهم (هشاماً ، وحدباً ، وأسلم) ، وغيّر اسم (شعب الضلالة) فسماه (شعب الهداية) ، (وبني الزنية) سماهم (ببني الرشدة) . فلما كان اسم العقيقة بينه وبين العقوق تناسب وتشابه كرهه عليه الصلاة والسلام . وقال : « إن الله لا يحب العقوق » ، ثم قال : « من ولد له

(١) المرجع السابق ص ٣٥ .

مولود فأحب أن ينسُك عنه فليفعل » ، فجعلها على سبيل الأضحية التي جعلها الله نسكاً وفداء لإسماعيل عليه السلام ، وقربة إلى الله عز وجل ، وغير مستبعد في كلمة الله وفي شرعه وقدره ، أن يكون سبباً لحسن إثبات الولد وسلامته ، حتى يكون كل عضو منها فداء كل عضوٍ منه .

ولهذا أُثر أنه يقال فيها : « اللّهمَّ منكَ ولَكَ » ويُستحب فيها ما يستحب في الأضحية من الصدقة وتفريق اللحم ، فالنتيجة عن الولد فيها معنى القربان والشكران والفداء والصدقة ، وإطعام الطعام عند الحوادث المتميزة بالسرور شكراً لله وإظهاراً لنعمته ، التي هي غاية المقصود من النكاح ، فإذا شرع الإطعام للنكاح (وهو وسيلة) إلى حصول هذه النعمة ، فلأن تشرع عند الغاية المطلوبة أولى وأحرى .

قالوا : ولما أقر رسول الله ﷺ العقيقة في الإسلام ، وأكد أمرها ، وأخبر أن الغلام مرتهن بها ، نهاهم أن يجعلوا على رأس المولود من الدم شيئاً (كما كانت تفعل الجاهلية) ، وسنَّ لهم أن يجعلوا عليه شيئاً من الزعفران . وقد أمر ﷺ بحلق رأس

الطفل والصدقة بزنة شعره ذهباً أو فضة (تبعاً للأحوال) وأمر أن يلطخوا الرأس بالزعفران الطيب الرائحة الحسن اللون ، بدلاً عن الدم الخبيث الرائحة ، والنجس العين .

استحباب طبخ العقيقة

قيل : يستحب تقديمها مطبوخة ، وذلك لكي يكفى المساكين والجيران مؤونة الطبخ ، وهو زيادة في الإحسان ، وفي شكر النعمة ، وإن من أهدي إليه لحم مطبوخ مهيأ للأكل وطيب ، كان فرحه به أتم من فرحه بلحم نيئ يحتاج إلى كلفة وتعب .

قال الإمام أحمد : يتحملون ذلك ، وأيضاً فإن الأطعمة المعتادة التي تجري مجرى الشكران كلها سبيلها إلى الطبخ .

ولها أسماء متعددة أشهرها في الأدب الإسلامي العربي :

١ ـ القرى : طعام الضيفان .

٢ ـ المأدبة : طعام الدعوة .

٣ ـ التحفة : طعام الزائر .

٤ ـ الوليمة : طعام العرس .

٥ ـ الخرس : طعام الولادة .

٦ ـ العقيقة : الذبح عن المولود يوم حلق رأسه .

٧ ـ الغديرة : طعام الختان .

٨ الوضيمة : طعام المأتم .

٩ ـ النقيعة : طعام القادم من سفر .

١٠ ـ الوكيرة : طعام الفراغ من البناء .

فكان الإطعام عند هذه الأشياء أحسن من تفريق اللحم في مكارم الجود ، وقد أثبتناها حماية للتراث الكريم وإحياءً له ولمكارم الأخلاق ، فلينظر المسلم كم احتوت لغتنا العربية من ألفاظ لمعنى الجود ، وكم هي الدوافع التي دفعت وتدفع المسلم ليعبر عن الكرم وعلى رأسها الكرامة ، ولهذا لم يَفُت شاعرنا العربي أن يقول :

وما الخصبُ للأضياف أن يكثُر القِرى

ولكنّما وجـهُ الكريم خصيبُ

الختان

في الختان

اسم لفعل الخاتن ، وهو مصدر كالنزال والقتال ، ويسمى به موضع الختن أيضاً ، ومنه الحديث : « إذا التقى الختانان وجب الغسل » . ويسمى في حق الأنثى خفضاً ، هذا وإن الختان اسم للمحل ، وهي الجلدة التي تبقى بعد القطع ، واسم للفعل وهو فعل الخاتن ، ونظير هذا (في اللغة) السواك ، فإنه اسم للآلة التي يُستاك بها ، واسم للتسوك ، وقد يطلق الختان على الدعوة إلى وليمته ، كما تطلق العقيقة على ذلك أيضاً .

وفي ختان النبي إبراهيم عليه السلام : ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « اختتن إبراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين بالقدوم » ، وقيل إن القدوم بالتحريك اسم لمكان ، وأياً كان الأمر فإننا ندرك أهمية الختان في دين الحنيفية .

ويقال : إن الختان استمر بعده في الرسل وفي أتباعهم حتى المسيح نفسه فإنه اختتن والنصارى تقر بذلك ولا تجحده ، كما تقر بأنه حرم لحم الخنزير وصلى إلى الصخرة ، ولم يصم خمسين يوماً .

وقد جاء في جامع الترمذي ومسند الإمام أحمد من حديث أبي أيوب قال قال رسول الله ﷺ : « أربع من سنن الأولين : الختان والتعطر والسواك والنكاح »[1] .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الفطرة خمسٌ : الختان ، والاستحداد وقص الشارب ، وتقليم الأظفار ، ونتف الإبط » .

والفطرة فطرتان : فطرة تتعلق بالقلب (وهي معرفة الله ومحبته وإيثاره على ما سواه) ، وفطرة عملية تتعلق بالبدن (وهي الخصال التي أوردناها) ، وكل من الفطرتين تؤيد الأخرى وتقويها .

---

(١) تحفة المودود في أحكام المولود ص ٣ وما بعدها .

وقد قال العلماء : إن الختان مكمل الفطرة التي فطر الله عليها البشر ، وهو من تمام الحنيفية ملة إبراهيم ـ عليه السلام ـ ، فإن الله ـ عز وجل ـ لما عاهد نبيه إبراهيم وعده أن يجعله إماماً ، ووعده أن يكون أباً لشعوب كثيرة ، وأن تكون الأنبياء والملوك من صلبه وأن تكون من نسله ، وأخبره أنه جاعل بينه وبين نسله علامة العهد أن يختنوا كل مولود منهم ، ويكون عهدي هذا ميسماً في أجسامهم ، فالختان علم للدخول في ملة إبراهيم ـ عليه السلام ـ وهذا موافق لتأويل قوله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ اللهَ وَمَن أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبغَةً ﴾ [البقرة : ١٣٨/٢] على الختان . فالختان للحنفاء بمنزلة الصبغ والتعميد لعباد الصليب ، فهم بزعمهم يطهرون أولادهم حين يصبغونهم بماء المعمودية ، ويقولون : الآن صار نصرانياً ، فشرع الله سبحانه للحنفاء صبغة ومن أحسن من الله صبغة ؛ والمقصود أن صبغة الله هي الحنيفية التي صبغت القلوب بمعرفته ومحبته والإخلاص له وعبادته وحده لا شريك له .

وإضافة لما سبق ، قالوا : ومع ما في الختان من الطهارة

والنظافة والتزيين وتحسين الخلقة ، فهناك تعديل للشهوة ، (التي إذا افرطت ألحقت الإنسان بالحيوان) ، و (إن أعدمت بالكلية ألحقته بالجمادات) فالختان هكذا ، ولذلك نجد الأقلف من الرجال لا يَشْبَعُ من الجماع[١] ، وقد روى أبو داود « أن رسول الله ﷺ أمر ختانة تختن فقال إذا ختنت فلا تنهكي فإن ذلك أحظى للمرأة وأحب للبعل » .

وفي بعض الأقوال أن رسول الله ﷺ قد وُلد مختوناً ، وقيل في تأ[illegible] هذا كثير ، لعل الصحيح فيه أن من الناس من يولدون غ[illegible]حتاجين إلى الختان ، وقد ذكر الفقهاء في كتبهم أن من [illegible]لد هكذا فإنه لا يُختن .

(١) ولا نجد حاجة إلى التحذير من ختان البنت ، ذلك الأمر الذي لا أصل له ولا سند .

تسمية المولود

في تسمية المولود

● عن أبي الـدرداء قـال ، قـال رسـول الله ﷺ : « إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبـائكم فحسنوا أسماءكم » رواه أبو داود بإسناد حسن .

وعن ابن عمر قـال ، قـال رسـول الله ﷺ : « إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن » .

وفي حـديث آخر أضـاف رسول الله ﷺ : « إن أصـدق الأسماء (حارث وهمّام) وأقبحها (حرب ومُرَّة) » .

● قـال أبو محمـد بن حزم : اتفقـوا على تحريم كل اسم معبَّـد لغير الله ، (كعبـد العـزى وعبـد هبـل) ، (وعبـد عمرو ، وعبد الكعبة) ، وقد « وفـد على النبي ﷺ قوم فسمعهم يسمون عبد الحجر فقال له ما اسمك ؟ فقال : (عبد الحجر) ، فقال لـه

رسول الله ﷺ إنما أنت عبد الله » . فإن قيل : كيف يتفقون على تحريم الاسم المعبد لغير الله ، وقد صحّ عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال : « تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد القطيفة » فكيف صحَّ ذلك ؟..

الجواب أن قوله ﷺ : « تعس عبد الدرهم .. إلخ » فلم يرد به التسمية بل أراد به الوصف والدعاء على من تعبد قلبه للدينار والدرهم ، فرضي بعبوديتهما عن عبودية ربه تعالى .

● وقالوا إن من المحرم التسمية (بملك الملوك وسلطان السلاطين وشاهنشاه) ، وقياساً على ذلك ذكروا أن بعض العلماء رأوا كراهية التسمية بقاضي القضاة ، وحاكم الحكام ، فإن حاكم الحكام الحقيقي هو الله .

● وقالوا إن الأسماء المكروهة ما رواه مسلم في صحيحه عن سمرة بن جندب قال ، قال رسول الله ﷺ : « لا تسمين غلامك : يساراً ولا رباحاً ولا نجاحاً ولا أفلح » .

ـ وفي الحديث أن رسول الله ﷺ : « نهى أن تُسمى

(بَرة) وقال « لا تزكوا أنفسكم ، الله أعلم بأهل البر منكم » ، وفي سنن ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه « أن زينب كان اسمها برة ، فقيل تزكي نفسها ، فسماها النبي ﷺ زينب » .

ـ ومنها التسمية التي كانت الجاهلية تسمي بها بأسماء الشياطين : كخنزب ، والولهان ، والأعور ، والأجدع .

ـ ومنها أسماء الفراعنة والجبابرة كفرعون وقارون ، وهامان والوليد .

ـ ومنها أيضاً أسماء الملائكة كجبرائيل وإسرافيل وميكائيل فإنه يكره تسمية الآدميين بها ، قال أشهب : سئل مالك عن التسمي بجبريل فكره ذلك ولم يعجبه .

ـ ومنها الأسماء التي لها معان تكرهها النفوس وتمجها كحرب ومرة وكلب وحية وأشباهها ، وقد شاهدنا ذلك من قبل ، وأدركنا كيف كان النبي صلوات الله عليه يغير بعض الأسماء المنكرة .

وقيل في هذا : « إن النبي ﷺ قد غيّر اسم المدينة وقد كانت

تسمى بالجاهلية يثرب (ومعنى ثرَّب : قبَّح) فقال : «إنها طيبة» كما في الصحيحين .

ولنتأمل حديث سعيد بن المسيب[١] عن جده قال : « أتيت إلى النبي ﷺ فقال ما اسمك ؟ قال حَزْن ، فقال أنت سهل ، قال لا أغيّر اسماً سمانيه أبي » ، قال ابن المسيب فما زالت تلك الحُزُونة فينا بعد . رواه البخاري في صحيحه[٢] .

وقد روى الشعبي فقال : « جاء رجل من جهينة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : ما اسمك قال : شهاب ، قال : ابن من ؟ قال : جمرة ، قال : ابن من ؟ قال : ابن ضرام ، قال : ممن ؟ قال : من الحرقة ، قال : أين منزلك ؟ قال : بحرة النار ، قال : ويحك أدرك أهلك ومنزلك فقد أحرقتهم .

(١) المصدر السابق ص٨٤ .

(٢) الحزونة هي الغلظة ، ومنه أرض حزنة ، وأخرى سهلة .

وهكذا قالوا : « إن البلاء موكل بالمنطق » ، وقد قال النبي ﷺ « البلاء موكل بالقول » .

وفي جامع ابن وهب «أن رسول الله ﷺ أتي بغلام فقال : ما سميتم هذا ؟ .. قالوا : السائب ، فقال : لا تسموه السائب : ولكن عبد الله ، قال : فغلبوا على اسمه ، فلم يمت حتى ذهب عقله » . قالوا : إن حفظ المنطق وتخيُّر الأسماء من توفيق الله للعبد . وقد أمر النبي ﷺ من تمنى أن يحسن أمنيته ، وقال « إن أحدكم لا يدري ما يكتب له من أمنية » ، أي ما يُقدر له منها ، وتكون أمنيته سبب حصول ما تمناه أو بعضه ، وقد كان أبو بكر رضي الله عنه يتمثل بهذا البيت :

احذر لسانك أن تقول فتبتلي إن البلاء موكل بالمنطق

● وقال أبو بكر بن أبي شيبة في باب : ما يكره من الأسماء ، حدثنا الفضل بن دكين عن أبي جلدة عن أبي العالية : تفعلون ذلك وشراً من ذلك ، تسمون أولادكم أسماء الأنبياء ثم تلعنونهم .

● وبالجملة فالأخلاق والأعمال والأفعال القبيحة تستدعي تناسبها ، وأضدادها تستدعي أسماء تناسبها ، وما سمي رسول الله محمداً وأحمد إلا لكثرة خصال الحمد فيه ، ولهذا كان لواء الحمد بيده وأمته الحمادون ، وهو أعظم الخلق حمداً لربه تعالى .

ولهذا فقد أمر رسول الله ﷺ بتحسين الأسماء ، فقال حسنوا أسماءكم ، فإن صاحب الاسم الحسن قد يستحي من اسمه ، وقد يحمله اسمه على فعل ما يناسبه وترك ما يضاره ، ولهذا ترى أكثر العلية تناسبهم أسماؤهم .

ملحق بالأسماء

قائمة بأسماء البنين والبنات للاستئناس

« خير الأسماء ما حُمّد وما عُبّد »

(أ)

أُبيّ - إبراهيم - أنـور - أرود - أسلم - أغيـد - آصف (اسم نبات) - أكثم - إياد - إياس - أيهم - إحسان - أيسر - أيمن - أمجد - أنس - أحمد - أبو الخير - أبو الفضل - أبو النور - أبو ذر - أمين - إقبال - أكرم - أكبر - أسمر - أويس - أشرف - أجفان - أسيد .

انتصار - إحسان - إسراء - أروى - أسماء - ابتسام - اعتدال - افتكار - أفنان - آلاء - إلهام - آمنة - إيمان - إيناس - أصالة - أمان - إيهاب - أمينة - ألماسة - أماني - إسعاف - أريج - آمال - أحلام - أغاريد - أشجان - أناغيم - أفنان - إبتهاج - أميمة .

(ب)

بشير ـ باهر ـ باهي ـ بدر ـ بدري ـ بدر الدين ـ بشر ـ بديع ـ بليغ ـ بسيم ـ بلال ـ بهجة ـ بشار ـ براء ـ بسام ـ باسم ـ باسل ـ بر الأمان ـ بطوطة ـ بارع ـ بهي ـ بسيم ـ بكر .

بسيمة ـ بثينة ـ باسمة ـ باهية ـ بهيرة ـ بيان ـ بشيرة ـ بدرية ـ بهيجة ـ بهية ـ بانة ـ بديعة ـ بشرى ـ بنان ـ بارعة ـ بسمة ـ بتله (نبات) ـ بصيرة ـ بهنانة ـ بلسم ـ بريهان ـ بيهال ـ براءة .

(ت)

تميم ـ تامر ـ تحسين ـ تيسير ـ تقي الدين .

تمام ـ تسلية ـ تحية ـ تالة (بمعنى نخلة) ـ تهاني ـ تميمة ـ تغريد ـ تقى ـ تمارة ـ تالية ـ تسنيم ـ تماضر .

(ث)

ثروة ـ ثُمام .

ثراء ـ ثريا ـ ثمينة ـ ثناء ـ ثروة ـ ثمامة .

(ج)

جابر ـ جاسم ـ جميل ـ جمال ـ جهاد ـ جواد ـ جنين ـ جرير ـ جدير ـ جهين ـ جفنة ـ جليل ـ جودة ـ جعفر .

جمانة ـ جميلة ـ جِهان ـ جهيدة ـ جوهرة ـ جِنان ـ جهينة ـ جلنار ـ جوى ـ جواهر .

(ح)

حامد ـ حسام ـ حبيب ـ حسني ـ حسن ـ حسين ـ حمدي ـ حسان ـ حكيم ـ حميد ـ حباب ـ حاتم ـ حكَم ـ حصيف ـ حسون ـ حريص ـ حري ـ حصين ـ حمزة ـ حازم .

حميدة ـ حسنية ـ حُسْن ـ حسناء ـ حبيبة ـ حنان ـ حبابة ـ حزام (نبات) ـ حسار (نبات) ـ حسيناء (نبات) .

(خ)

خالد ـ خباب ـ خيري ـ خير الدين ـ خلوق ـ خليل ـ خلدون ـ خيرات ـ خويلد ـ خليّ ـ خير الله .

خانم ـ خالصة ـ خديجة ـ خولة ـ خير ـ خيرية ـ ختام ـ خنساء ـ خبيرة ـ خلود .

(د)

درويش ـ داني ـ دري ـ دليل ـ داوود ـ دهام .

درة ـ درية ـ دلال ـ ديمة ـ دانية ـ دانة ـ داليا ـ دنيا ـ دفلى (نبات) ـ ديالة ـ دينا ـ دليلة .

(ذ)

ذهني ـ ذكي ـ ذر ـ ذو الفقار ـ ذو الكفل ـ ذاكر .

ذُكاء ـ ذهينة ـ ذكية ـ ذود (قافلة إبل) ـ ذكرى .

(ر)

رئيف ـ رائف ـ رمزي ـ راسم ـ رائد ـ ربيع ـ رشدي ـ رشيد ـ راشد ـ راضي ـ راني ـ رضوان ـ رفاه ـ رسول ـ رفيق ـ رئبال ـ رائد ـ رفعة ـ رفقة ـ رامي ـ ربيح ـ رابح ـ روحي ـ رؤوف ـ رأفة ـ ربحي ـ رميح ـ ربيح ـ رهيف ـ رجيح ـ رياض ـ رؤيس (نبات بري) ـ رئال (مجموعة كواكب) ـ رسمي ـ رنا ـ رباح ـ رئيس ـ راكان ـ رغيد .

ريم ـ ريمة ـ رضية ـ راضية ـ روضة ـ رباب ـ رفيف ـ رُبى ـ ربوة ـ رشا ـ رفقة ـ رامة ـ رحاب ـ رئيفة ـ رغَد ـ رانية ـ

رائدة ـ رُلا ـ ريْ ـ رنا ـ روحية ـ رهف ـ رفاه ـ روعة ـ روَان ـ راية ـ ريّا ـ رأفة ـ ربيعة ـ رشدية ـ راشدة ـ رندة ـ ربيحة ـ رقية ـ رفيا ـ رافية (اسم نبات) ـ رافانالا (اسم نبات) ـ ربحية ـ رنا ـ رفيف ـ رغد ـ رويدة ـ روضة ـ رند ـ رفية ـ ريم ـ رنيم ـ رضوى ـ رونق ـ رِهام ـ رِهاب ـ رفيدة ـ رويدة .

(ز)

زهدي ـ زاهد ـ زاكي ـ زاهي ـ زاهر ـ زكي ـ زهير ـ زيد ـ زكريا ـ زكوان ـ زياد .

زاهية ـ زهوة ـ زهور ـ زينب ـ زنوبيا ـ زهرة ـ زوفة ـ زلفى ـ زاهدة ـ زليخة ـ زُكاء .

(س)

سعدي ـ سامي ـ سامر ـ سمير ـ سهيل ـ سعيد ـ سلمان ـ سائد ـ سليمان ـ سليم ـ سارية ـ سعدون ـ سالم ـ سعود ـ سعد الدين ـ سعد الله .

سليمة ـ سهيلة ـ سميرة ـ سلمى ـ سليمى ـ سوسن ـ سمارة ـ سهام ـ سُها ـ ساهرة ـ سلافة ـ سمية ـ سحَر ـ سمر ـ سمراء ـ سيما ـ

سمارة ـ سلوى ـ سعدية ـ سارية ـ سامية ـ سماء ـ سناء ـ سهارى ـ ساجدة ـ سليمة .

(ش)

شام ـ شريف ـ شهم ـ شوقي ـ شرف ـ شهيم ـ شاكر ـ شكور ـ شفيع ـ شاهر ـ شهير ـ شامل ـ شافع ـ شبل ـ شفيق ـ شادي .

شكرية ـ شفق ـ شفيقة ـ شامة ـ شهلة ـ شفاء ـ شذي ـ شريفة ـ شهيمة ـ شيمة ـ شيماء ـ شهناز ـ شهيرة ـ شريفة .

(ص)

صالح ـ صبري ـ صلاح ـ صلحي ـ صبور ـ صابر ـ صفوح ـ صلوح ـ صبيح ـ صادق ـ صدوق ـ صبحي .

صالحة ـ صابرة ـ صلحية ـ صبا ـ صائمة ـ صباح ـ صبحية ـ صبيحة ـ صبرية ـ صفاء ـ صفية .

(ض)

ضيغم ـ ضِرار ـ ضليع ـ ضرغام ـ ضحاك ـ ضاهر ـ ضميم ـ ضلوع ـ ضليع ـ ضياء ـ ضمير .

ضمية ـ ضفيرة ـ ضحى ـ ضحوك ـ ضياء .

(ط)

طه ـ طاهر ـ طريف ـ طهماز ـ طلحة ـ طيب ـ طالب ـ طعمة ـ طل ـ طلال ـ طارق ـ طفيل .

طيف ـ طاهرة ـ طروب .

(ظ)

ظريف ـ ظهير ـ ظافر .

ظريفة ـ ظئر ـ ظبية .

(ع)

علي ـ عمر ـ عدنان ـ عمار ـ عامر ـ عبود ـ عبادة ـ عفيف ـ عثمان ـ عالم ـ عاطف ـ عابد ـ عمرو ـ عيسى ـ عليم ـ عيد ـ عباس ـ عبد (مع اسم من أسماء الله الحسنى) ـ عربي ـ عصام ـ عريف ـ عطوف ـ عزة ـ عروة ـ عمرو ـ عمرون ـ عبد الرحمن ـ عبد الرحيم ـ عبد الله ـ عاطف ـ عيطة ـ عمران .

عالية ـ عليّة ـ علياء ـ عبير ـ عَنود ـ عارفة ـ عبلة ـ عرين

ـ عربية ـ عناية ـ عفراء ـ عفاف ـ عُريب ـ عبيدة ـ عهد ـ عروب ـ عاطفة ـ عروبة ـ عاتكة ـ عهد .

(غ)

غالب ـ غفور ـ غالي ـ غضنفر ـ غصوب ـ غسان ـ غيث ـ غلام ـ غيلان ـ غافر ـ غامد ـ غفير .

غالية ـ غيداء ـ غصون ـ غادة ـ غنج ـ غفران ـ غدير ـ غروب ـ غنوة .

(ف)

فريز ـ فتحي ـ فارس ـ فريد ـ فهمي ـ فاتح ـ فؤاد ـ فهد ـ فياض ـ فادي ـ فاروق ـ فائز ـ فهيم ـ فودة ـ فرزة ـ فراس .

فريحة ـ فطمة ـ فاطمة ـ فيروز ـ فريزة ـ فتحية ـ فريدة ـ فادية ـ فايزة ـ فدوى ـ فهمية ـ فهيمة ـ فهدة ـ فريال ـ فيحاء ـ فرناز ـ فطيمة ـ فطنة ـ فداء .

(ق)

قعقاع ـ قيس ـ قاسم ـ قادر ـ قصي ـ قتيبة ـ قتادة ـ

قصاب ـ قرير ـ قدير ـ قانت ـ قاعد ـ قائد ـ قاري ـ قنوع ـ قانع ـ قاني ـ قنوت ـ قدري ـ قانت ـ قناعة ـ قحطان ـ قبطان ـ قنديل ـ قطب الدين .

قمر ـ قُمرية ـ قدرية ـ قديرة ـ قَنوت ـ قُنية ـ قسمة ـ قناعة ـ قِطاف ـ قلادة ـ قربى .

(ك)

كمال ـ كريم ـ كارم ـ كامل ـ كرم ـ كاظم .

كاتبة ـ كريمة ـ كاميليا ـ كاملة ـ كوكب ـ كلثوم ـ كهرمان .

(ل)

لبيب ـ لؤي ـ لطيف ـ لبيد ـ لمّاح ـ لاهف ـ ليث ـ لطفي .

لمة ـ لُما ـ لبانة ـ لبابة ـ لميس ـ لمعة ـ لبيبة ـ ليلى ـ لمياء ـ ليالي ـ لؤلؤة ـ لطيفة ـ لينة ـ لَطيفة ـ لبوة ـ لهفة ـ لارا ـ ليزا ـ لانا ـ لونا ـ لطفية .

(م)

مُضَر ـ منير ـ مُنعِم ـ مُنعَم ـ موفق ـ ملهم ـ مالك ـ مجيد ـ مسلم ـ مسلَّم ـ مسعود ـ ماهر ـ مروان ـ ماجد ـ معروف ـ مراد ـ مفيد ـ منصور ـ مريد ـ محسن ـ مصطفى ـ مرعي ـ مُهاب ـ مُعاذ ـ مجيد ـ مصون ـ موسى ـ مؤيد ـ مطيع ـ مازن ـ مجد ـ مرزوق ـ مشير ـ مهيوب ـ مصعب ـ مهيب ـ ملاذ ـ مطاع ـ مؤمن ـ مهدي ـ مهتدي ـ ميسر .

منعَم ـ منيرة ـ مروة ـ ماسة ـ مائسة ـ مريم ـ مفيدة ـ منور ـ مطيعة ـ مهيبة ـ ميسون ـ مرام ـ منية ـ مي ـ ميمونة ـ مُزنة ـ منى ـ ماوية ـ ماريّا ـ مشيرة ـ ماريانا ـ مسرة ـ مؤمنة ـ مروج ـ ماهيتاب ـ منال ـ ميادة ـ منار ـ مها .

(ن)

نبراس ـ نصوح ـ نعيم ـ نمير ـ نبيه ـ نِجاد ـ نِهاد ـ نِزار ـ نبيل ـ نديم ـ نسيم ـ نبال ـ نذير ـ نفيس ـ نشمي ـ نادر ـ نوح ـ نامي ـ نورس ـ ناهي ـ نشأت .

نشامة ـ نورشان ـ نورهان ـ نُهى ـ نادين ـ نهال ـ نجود ـ

نور ـ نبيلة ـ نسرين ـ نسمة ـ نفيسة ـ نعيمة ـ نعمة ـ نادرة ـ نديمة ـ نوال ـ نبيهة ـ نهلة ـ نهوة ـ نُعمى ـ نجاة ـ نادية ـ نرمين ـ ناريمان ـ نهاية ـ نور الهدى ـ نشامة ـ نور .

(هـ)

هلال ـ هادي ـ همام ـ همة ـ هاشم ـ هيثم ـ هارون ـ هنّي ـ هشام .

هدى ـ هِبة ـ هدية ـ هداية ـ همت ـ هناء ـ هند ـ هالة ـ هديل ـ هويدة ـ هُنادى ـ هَنادي ـ همسة ـ هيام ـ هلا ـ هنا ـ هانية ـ هتون ـ هدلة ـ هزار .

(و)

وائل ـ وقور ـ وسيم ـ وديد ـ ودود ـ وحيد ـ وجيه ـ ولي ـ وهيب ـ وليف ـ وفيّ ـ وضاح ـ وفيق ـ وجدان ـ ولي الدين ـ واصف ـ وسام ـ وَرد ـ وعي ـ واعد ـ وافي ـ ولهان ـ وريث ـ وجدي .

وجدان ـ ولاء ـ ولادة ـ وطفة ـ وجيهة ـ وداد ـ وردة ـ

وديعة ـ وعد ـ وطفاء ـ وفيقة ـ وِصال ـ وضحة ـ وسيلة ـ وفاء ـ وِرد ـ وصل ـ وليفة ـ ولع ـ وهدان ـ وفية ـ وسام ـ وجدان ـ وليه ـ ورقاء ـ وهيبة .

(ي)

يسير ـ يحي ـ يمان ـ يُسري ـ يسار ـ يوسف ـ يونس ـ يزن ـ يامن ـ ينال ـ يعقوب ـ يعرب .

يسرى ـ يارة ـ يمان ـ يُسريّة ـ يمامة .

THE FAMILY AND THE SOCIETY
PSYCHOLOGICAL HYGIENIC

٢

Psychological Hygienic
OF THE NEW BIRTH AND THE SUCKLING

Al-Ṣiḥḥah al-Nafsīyah
li-al-Mawlūd wa-al-Raḍī‘

by: ‘Adnān al-Subay‘ī

تسعة شهور تزيد أياماً أو تنقص، تصوغ عالماً جديداً، يحتشد فيه الألم ممتزجاً بالأمل، ويأتلف القلق فيه مع الفرح، ويثقلُ الحَمْلُ ويثقلُ...

لقد ولدَ إنسان جديد على الأرض، هاهو يصرخ بصوت ناعم، في هذه اللحظات، يُسدل السِّتار على كلِّ الآلام، وتتوارى المخاوف وصور الهم والغم.

(الصحة النفسية للمولود والرضيع) يتناول: الصحة النفسية الاتصالية مع الأم، والصحة النفسية للرضاع، والصحة النفسية للفطام، والنمو النفسي والاجتماعي، والوليد في تراثنا الجميل، مع ملحق بأسماء البنين والبنات للاستئناس.. فهو كتاب يهم كل أسرة، ويفيد كل بيت.

Bibliotheca Alexandrina
0538683

DAR AL-FIKR
3520 Forbes Ave., #A259
Pittsburgh, PA 15213
U.S.A
Tel: (412) 441-5226
Fax: (412) 441-8198
e-mail: fikr@fikr.com
http://www.fikr.com/

ISBN 1-57547-386-0

